

أعراب الرواية اللغوية وتثقيف السليقة

د. خالد عبد الحلیم العبسی

كلية اللغات - جامعة صنعاء

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الأعراب المذكورين زمن الاحتجاج الذين أخذ عنهم السماعون الأوائل من اللغويين والنحاة، وهم قسمان: الأعراب المغمورون، والأعراب الرواة المعروفون، ويختلف النوع الثاني عن الأول بأننا عند تقصي أحوالهم نجد أن كثيرا منهم أصحاب ممارسات علمية متنوّعة، أبرزها التعلّم والتأليف، فضلا عن أنّ فيهم - وإن على قلة- من نُسب إلى مذهب البصريين أو ناظر علماء اللغة أو أُطلق عليه وصف "عالم"، ويأتي ما يُروى لهم من أخبار مع علماء اللغة والنحو متوائما مع حالتهم العلمية تلك، ولا شك أن كلّ ذلك يجعل الأعراب الرواة أصحاب سليقة مثقفة و"علماء من درجة ما"، وهذا التصور الكاشف عن نوعي الأعراب وعن طبيعة الرواة منهم خصوصا يجعلنا أفهم لما روي عنهم من أخبار وأحسن تمييزا لما يخصّ كلّ نوع منهم ويجعلنا أيضا أكثر وعيا بممكنات تلك الأخبار.

الكلمات المفتاحية: الأعراب الرواة، زمن الاحتجاج، السماع من الأعراب، السماع اللغوي، تثقيف السليقة.

مقدمة:

تكمن المشكلة حول الأعراب المأخوذة عنهم اللغة زمن الاحتجاج في أن ثمة تصوّرا عنهم لا يطابق واقعهم. يتمثل هذا التصور في أن أولئك الأعراب ناوون عن الحضرية وكل علائقها، وأهمها - في هذا السياق- بُعدهم عن الممارسات العلمية، فقد تُوهّم أن تلك الحالة المُوغلة في التبدّي كانت شرطا في الأخذ عنهم، ومن الحق أنها صورة متخيّلة عن أعراب اللغة لا تُطابق ما في تضاعيف المصادر الناقلة من أخبارهم شيئا غير قليل.

فعلى سبيل المثال ذكر الجاحظ خيرا عن أحد الأعراب يُفيد أنه يجهل مصطلح "التقييد" المتعلّق بالكتابة، وعلّق على ذلك بأنّه لو عرفه لما التفت إلى روايته^(١)، وذكر الجاحظ أيضا أن أولئك الأعراب لا يفهمون الجملة الملحونة؛ إذ لو فهموها لدلّ ذلك على طول إقامتهم بالحاضرة المُفسدة للغة. ونرى

١ - سيأتي عزو أقوال الجاحظ إلى مصادرها وأقوال ابن جني، وما دُكر عن الشلقاني، وستأتي مناقشة ما قالوه على وجه مفصّل في "ثالثا: الصورة المتخيّلة عن أعراب الرواية اللغوية ودفعها".

نحو تلك الصورة عند آخر من القدماء: ابن جني؛ إذ يستغرب صدور أحد مصطلحات النحو الأساسية "النصب" عن أحد الأعراب، وهو ما ذهب به إلى حمل "النصب" على معنى خارج عن سياق النحو، غير أن الاقتراب من أحوال أولئك الأعراب يكشف لنا عدم سلامة تخريج ابن جني وما ذكره الجاحظ.

يتكرر الأمر عند بعض المعاصرين؛ فالشلقاني صاحب كتاب "الأعراب الرواة" -وقد جمع شيئاً كثيراً مفيداً من أحوال أعراب الرواية اللغوية- صادف أشياء تناقض تلك الصورة المتهمة، ووقف على ممارسات علمية لهم، لكنه ظلّ متمسكاً بالصورة الخيالية، ما دفع به إلى استشكال تلك الأخبار حيناً واستشكال حال الأعراب الرواة عموماً حيناً آخر.

ومن الحقّ أن مَنْ لم يحط بأحوال هؤلاء الأعراب إذا وقف على خبر تصدّر فيه عن الأعرابي جملة ذات مصطلحات على طريقة المتخصّصين أو على خبر يُبينُ فيها الأعرابي عن السبب الجغرافي لفصاحة قومه - قد ينجح إلى الحكم بنكارة تلك الأخبار، غير أن الإحاطة بأحوالهم تُعفي من ذلك، وتسمح بإمكانية مناسبة تلك الأخبار لنوع من أعراب السماع اللغوي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يقف بتوسّع على أحوال أولئك الأعراب المأخوذة عنهم العربية، فيكشف عن الأدلة المتنوعة والقرائن المختلفة التي تنفي الصورة المتخيّلة المعمّمة على أعراب اللغة جميعهم، وهي الصورة المُقصية لهم عن كل أنماط الحضرية والممارسات العلمية، ثم يناقش على وجه مُفصّل علماء قدماء وبعض المعاصرين ممن وقع في تصوّر حالة لا تطابق الواقع عن هؤلاء الأعراب، ويحاول أن يقف على أسباب وقوعهم في تلك الصورة المغايرة للواقع.

أهداف البحث:

- ١ - بيان أنواع أعراب الرواية اللغوية: الأعراب المغموين، الأعراب الرواة المعروفين، والتعريف بسمات كل نوع منهم.
- ٢ - الوقوف التفصيلي على الممارسات العلمية المتنوعة لدى الأعراب الرواة.
- ٣ - بيان الصورة المتهمة عن الأعراب الرواة ودفعها بالأدلة المتعدّدة، ومحاولة الوقف على أسباب وجود تلك الصورة.
- ٤ - ذكر مطاعن في رواية اللغة والشعر ذُكرت زمن السماع اللغوي وتمحيصها في ظل معرفتنا بحال الأعراب الرواة.

تمهيد: أهمية الأعراب في نقل اللغة

مذ شرعت العربية في إثارة سؤالاتها بمطلع الحضارة العربية وجدنا أرياب الشأن يقصدون شعر العرب ثم أعراب البادية كليهما يتلمسون فيهما مفاتيح لتلك المشكلات المثارة. أما الشعر فكان ذا رتبة أولى لا يُعلى عليها، وهكذا نجد عبد الله بن عباس يقول: "إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فاطلبوه في الشعر؛ فإنه ديوان العرب"^(١)، ويقول: "إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي"^(٢)، وأما أعراب البادية - وهم موطن البحث - فلم يكن بروزهم في هذا السياق مثل الشعر. ومهما يكن فإن ترجمان القرآن الذي دلّ على شعر العرب لمواجهة ما يُشكل من القرآن يلجأ إلى الأعراب للغرض نفسه، ومثاله أنه في قوله تعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) [الحج/٧٨] دعا أعرابيا، فقال: ما الحرج؟ قال: الضيق. قال: صدقت"^(٣)، ويحكي ابن عباس أن الأعراب كانوا مفاتيح لما انبههم عليه من كتاب الله، ومثال ذلك قوله: "كنت لا أدري ما (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) [فاطر/١]، حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتهما، يقول: أنا ابتدأتها"^(٤)، ومثال ذلك أيضا قول ابن عباس: "ما كنت أدري ما قوله: (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) [الأعراف/٨٩]، حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتحك. تعني: أقاضيك"^(٥)، ومثال ذلك أيضا قول ابن عباس: "ما كنت أدري ما معنى (يَحُورُ)^(٦) حتى سمعت أعرابية تقول لبنتها لها: حوري، أي: ارجعي"^(٧)، ويتكرر الأمر عند عمر بن الخطاب، فقد ذكر في تفسير قوله تعالى: (أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) [النحل/٤٧] أنه "وقف به فتى فقال: إن أبي يتخوفني حقي، فقال عمر: الله أكبر، أو يأخذهم على تخوف، أي على تنقص لهم"^(٨).

وإذا كنا قد ذكرنا أن أعراب البادية كان حضورهم أقل هنا من الشعر، فلا نغفل أن كثيرا من

- ١ - المبرد، الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ط ٢: ١٠.
- ٢ - الطبري، جامع البيان، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١: ١٨/٦٩٠.
- ٣ - الطبري، جامع البيان: ١٨/٦٩٠.
- ٤ - هي في ستة مواضع في القرآن، وبداية فاطر إحداها.
- ٥ - أبو عبيد، فضائل القرآن، تحقيق: العطية، خرابة، تقي الدين، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٩٩٥م، ط ١: ٣٤٥-٣٤٦.
- ٦ - الطبري، جامع البيان: ١٢/٥٦٤، وقد روى ذلك مرتين بإسنادين مختلفين، وابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة الباز، السعودية، ١٩٩٩م، ط ٣: ٨/٢٧٩٠، وقد رواه بإسناده.
- ٧ - وهي في موضع واحد من القرآن: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق/١٤].
- ٨ - الزمخشري، الكشاف، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٩م، ط ٣: ١١٩٠، ويُنظر: الرازي، التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ط ١: ٣١/١٠٨.
- ٩ - ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ط ١: ٤٧/١.

الأعراب كان ذا معرفة واسعة بشعر العرب، ويدل على ذلك أننا حينما ننظر فيما وُصف به أولئك الأعراب سنجد ما يدل على علو مكانتهم في المعرفة لشعر العرب، وخصوصاً عند النديم الذي كان من أعلم الناس بأحوالهم (سيأتي بيان الظروف التي هيأت له ذلك)، فمن ذلك قوله في أبي محلم: "أعلم الناس بالشعر"^(١)، وفي جهم بن خلف: "رواية عالم بالغريب والشعر"^(٢)، وفي عبّاد بن كُسيب: "وكان رواية الشعر عالماً بأخبار العرب"^(٣). وربما اكتفى النديم بوصف أحدهم بـ"رواية" أو "رواية" الدالتين على المبالغة، ومن المعروف أن الرواية في هذا السياق متضمنة رواية الشعر، ومن ذلك قوله في أبي دعامة: "علامة رواية"^(٤)، وفي الحرّمازي: "أعرابي بدوي رواية ... كان شاعراً رواية"^(٥)، وفي البهْدَلي: "كان راجزاً فصيحاً رواية"^(٦)، وفي ربيعة البصري: "كان شاعراً رواية"^(٧)، وفي أبي المنهال: "أحد الرواة"^(٨)، وربما كان بعض الأعراب رواية عن قومه خصوصاً، ومن ذلك قوله في الفقعسي: "رواية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها ... وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد"^(٩).

إن تلك المنزلة لأعراب اللغة جعلت العلماء زمنَ السماع حريصين على مشافهتهم، فإذا ولينا أبصارنا شطرَ الزمن الأول سنجد علماء اللغة قد ذهبوا يسمعون من عدد من الأعراب ممن نزلَ البصرة، ومن ذلك ما جاء في سيرة أبي زيد "قال ابن الغازي: أبو زيد كثير الرواية عن الأعراب، كثير النقل. ويقال: إن بعض أعراب مُضَرٍ مثل عقيل وقُشير نزلوا البصرة من محلّ أصابهم، فتعلّم عندهم أبو زيد"^(١٠)، أو قصد سوق المريد الواقعة على حدّها، فقد روي أن أبا عمرو بن العلاء سأل الأصمعي "من أين أقبلت؟ قال: من المريد. قال: هات ما معك. يقول الأصمعي: فقرأت عليه ما كتبت في ألواحي، ومرّت به ستة أحرف

١ - النديم، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م، ط ١: ٥١. تنبيه: تحقيق رضا تجدد هو المعتمد عليه في هذا البحث، وهو المقصود إذا أطلقت الإحالة، وقد استعنا بتحقيق آخر للفهرست، وهو تحقيق: غوستاف فليجل، لايبزغ، ١٨٧٢م، ط ١، ورضا تجدد متأخر ومستفيد مما قبله، وهو أكثر ضبطاً بالعموم لا بالإطلاق، فلذلك احتجج إلى النسخة الأخرى، وقد بيّنا ذلك في موضعه.

٢ - السابق: ٥١.

٣ - السابق: ٥٢.

٤ - السابق: ٥٣.

٥ - السابق: ٥٤.

٦ - السابق: ٥٢.

٧ - السابق: ٥٥.

٨ - السابق: ٥٤.

٩ - السابق: ٥٣.

١٠ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م، ط ٢: ١٦٦.

لم يعرفها، فقال له أبو عمرو: شمّرت في الغريب"^(١)، أو ممن نزل الكوفة، ومن ذلك ما جاء في ترجمة محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي: "وحفظ من الغريب والنوادر ما لم يحفظه غيره، وكانت له معرفة بأنساب العرب وأيامها. سمع من الأعراب الذين كانوا ينزلون بظاهر الكوفة: بني أسعد وبني عقيل، فاستكثر"^(٢)، وربما سمعوا منهم في لقاء عارض؛ مثل الحج، ومن ذلك ما رواه أبو عبيدة قال: "سمعتُ الفصحاء من المحرمين يقولون: إنَّ الحمدَ والنعمةُ لكَ والملكُ. لا شريك لك"^(٣)، ومن ذلك أن أبا عمرو بن العلاء سئل "عن اشتقاق الخيل، فلم يعرف، فمرَّ أعرابيٌّ مُحَرِّمٌ، فأراد السائلُ سؤالَ الأعرابي، فقال له أبو عمرو: دَعْنِي، فأنا ألطفُ بسؤاله وأعرف. فسأله، فقال الأعرابي: اشتقاقُ الاسم من فعل المُسمَّى"^(٤)، وربما سمعوا منهم في البادية، ولكن من دون قصد الرحلة إليهم، "حكى أبو عمرو قال: طلب الحجاج بن يوسف الثقفي أبي، فخرج منه هاربا إلى اليمن، فإنا لنسير بصحراء باليمن إذ لحقنا لاحق ينشد:

رُبما تَكَرَّهُ النَّفُوسُ مِنَ الْأُمِّ رِ لُهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعُقَالِ

قال: فقال أبي: ما الخبر؟ قال: مات الحجاج، قال أبو عمرو: فأنا بقوله: (له فرجة) أشد سرورا مني بموت الحجاج"^(٥)، ونشط علماء فقصدوا منبع الأعرابي: البوادي، ومن ذلك رحلة الخليل بن أحمد إلى بوادي نجد والحجاز وتهامة"^(٦)، ورحلة الكسائي التي كانت بإلهام من رحلة الخليل، وفيها أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ"^(٧)، ومن الرحالين النضر بن شميل الذي وُصف بأنه أمضى في البادية أربعين عاما"^(٨).

١ - القالي، ذيل الأمالي والنوادر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٧٦م، (د.ط.): ٢٠٣/٣.

٢ - القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحا، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٩٨٢م، ط ١: ١٣١-١٣٢.

٣ - أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦١م، ط ١: ٢٢/٢.

٤ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ٣٥-٣٦.

٥ - وتمة الخبر: "قال، فقال أبي: اصرف ركابنا إلى البصرة. قال أبو عبيدة، قلت لأبي عمرو: كم سنك يومئذ؟ قال: كنت قد خنقتُ بضعا وعشرين سنة"، ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ط ١: ٤٦٧/٣.

٦ - يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: ٢/٢٥٨.

٧ - يُنظر: الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥م، ط ٣: ٥٩.

٨ - يُنظر: السابق: ٧٣، والسيوطي، بغية الوعاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م، ط ١: ٣١٦/٢. ويلفت الشلقاني إلى أمر مهم يتعلق بما نُقل عن رحلات العلماء بالأحقاب الطويلة. قال: "ويمكن أن يستقيم الخبر وأنت تقرأ عن النضر بن شميل أنه أمضى في البادية أربعين عاما إذا تصورت أنه يقضي وطره من البادية،

وقد تباهى العلماء بالأخذ عن الأقحاح من الأعراب؛ ففي سياق التنافس بين المذهبين فخر البصريون على الكوفيين بأنهم أخذوا عن الخالصين في البداوة. قال الرياشي: "إنما أخذنا اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغة عن أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز"^(١). وربما ذكر أثر أخذ أحد العلماء عن الأعراب. "قال محمد بن الفضل: لم يزل ابن الأعرابي عندنا مُرمداً [أي فقيراً]^(٢) في علمه، غير مفارق للناس، حتى قدم علينا أعراب من اليمامة، ففأتحهم الغريب ففتقوا له"^(٣). وعد العلماء هؤلاء الأعراب مصدراً وثيقاً يُركن إليه في مخالفة غيرهم. يحكي أبو عمر الجرمي: "أتيت أبا عبيدة بشيء منه، فقلت له: عمّن أخذت هذا يا أبا عبيدة؛ فإن هذا خلاف تفسير الفقهاء؟ فقال لي: هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم، فإن شئت فخذ، وإن شئت فذر"^(٤)، والبول على الأعقاب تخففاً من لَهيب الرمضاء من الإيغال في التبدي^(٥).

وظهر الأعراب حكماً بين علماء اللغة حين يختلفون، فكانوا "الحكم الثرى حكومتهم"، فمن ذلك الخلاف الشهير بين سيبويه والكسائي في المسألة الزنبورية. جاء فيه أنهم "تراضوا بالأعراب، فأحضر من فصحاءهم أبو فقّس وأبو دَمَاز وأبو الجَرَّاح وأبو ثَرَوَان"^(٦)، وقد وقفوا في صف الكسائي، والخلاف بين أبي زيد الأنصاري ويونس بن حبيب؛ يُقال: "تعاهدت ضيعتي أو تعهدت"، وفيه قال أبو زيد: "وكان عنده ستة من الأعراب الفصحاء فقلت: سل هؤلاء"^(٧)، وقد سئلوا واحداً واحداً، فكلهم قال "تعهدت" على قول أبي زيد، واختلاف اليزيدي والكسائي؛ كيف يُقال: "إن من خير القوم أو خيرهم بته زيداً أو زيداً"، واحتكامهم

ثم يعود إلى البصرة، ثم يعاود مرة أخرى، الشلقاني، الأعراب الرواة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا- طرابلس، ١٩٨٢م، ط ٢: ١٥٥-١٥٦.

١ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م، ط ١: ٦٨، "والكواميخ: دخيل، وهو من الأدم، الواحد: كامخ"، الخليل، معجم العين، تحقيق: د. المخزومي، د. السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت)، (د.ط): (ك م خ) ١٥٧/٤، "والشيراز -مثال دينار- اللبن الرائب يُستخرج منه ماء، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لَبْنٌ يُغْلَى حَتَّى يَنْخُنْ ثُمَّ يَنْشَفَ حَتَّى يَنْتَقِبَ وَيَمِيلَ طَعْمُهُ إِلَى الْحُمُوضَةِ، وَالْجَمْعُ شَوَارِيزُ"، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ط ٢: (ش ر ز) ٣٠٩/١.

٢ - "أرمد الرجل إرمادا: افتقر"، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (د.ط): (ر م د) ١٨٦/٣.

٣ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ١٩٦.

٤ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ١٧٦.

٥ - يتضح ذلك بقصة يأمر فيها أبو الأسود أحد الأعراب بذلك بعد أن شكا إحراق الرمضاء رجله "وقيل: إنه لأي أبا الأسود خرج مع أصحابه إلى الصيد، فلما جلسوا للطعام، جاء أعرابي فقال: السلام عليكم. فقال أبو الأسود: كلمة مقولة! قال الأعرابي: أدخل؟ فقال أبو الأسود: وراءك أوسع لك! فقال الأعرابي: إن الرمضاء قد أحرقت رجلي. فقال أبو الأسود: بل عليهما... إلخ"، السابق: ٢٤-٢٥.

٦ - القفطي، إنباه الرواة: ٣٤٨/٢.

٧ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٤٣.

إلى أبي المطوق الذي حكم لليزيدي الذي كان قوله الرفع^(١)، واختلاف الأصمعي والمفضل في قول الشاعر:

وذاتُ هدمٍ عارٍ نواشِرُها تُصنمُ بالماءِ تُولبًا جدعا

قال الأصمعي: "جدعا" بالمهملة، وقال المفضل "جدعا" بالمعجمة، وقد احتكما إلى غلام من بني أسد حافظ للشعر، فصدّق الأصمعي وصدّق قوله^(٢).

١ - يُنظر: الزجاجي، مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة، دار الرفاعي-الرياض، ١٩٨٣م، ط٢: ٢٢١.

٢ - يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: ٣/٣٠٢-٣٠٣.

مباحث الدراسة:

ستتناول هذه الدراسة أعراب الرواية اللغوية من زوايا مختلفة:

أولاً: أنواع أعراب الرواية اللغوية.

ثانياً: الممارسات العلمية عند الأعراب الرواة.

ثالثاً: الصورة المتخيلة عن أعراب الرواية اللغوية ودفعها.

رابعاً: النظري في مطاوعن ذكرت زمن السماع اللغوي في رواة اللغة والشعر.

وفيما يأتي بيان ذلك.

أولاً: أنواع أعراب الرواية اللغوية

إن النواة الأساسية التي يُبنى عليها البحث أن النظر فيما نُقل من أخبار الأعراب زمن السماع، والنظر في طبيعة الروايات عنهم في مؤلفات العلماء ممن عاصر زمن السماع اللغوي؛ يدلنا على أن أعراب الرواية اللغوي نوعان مختلفان:

النوع الأول: أعراب لقيهم العلماء في البوادي أو في المدن وسمعوا منهم، ولم يكن لهم عناية بالعلم، فأولئك هم الأعراب المغمورون المبهمون، وهؤلاء أصحاب سليقة ليس غير، ومن أمثلة الرواية عنهم قول الفراء: "سمعتُ أعرابياً من قُضاعة..."^(١)، "سمعتُ امرأة من طيِّ..."^(٢)، وقول أبي زيد: "سمعتُ رجلاً من الأعراب..."^(٣)، "سمعتُ أعرابياً من أهل العالية..."^(٤)، وقول أبي عبيدة: "وسمعتُ رجلاً من أهل المدينة..."^(٥)، "سمعتُ بعض المكيين..."^(٦)، فالغالب أن هؤلاء من الأعراب المغمورين.

النوع الثاني: أعراب تكرر لقاء العلماء بهم وسماعهم منهم، وكان في هؤلاء الأعراب من له عناية بالعلم، فخالط العلماء وأخذ عنهم، وعرفوهم بالكنى والألقاب والأسماء أو ببعض ذلك، ورُويت أشياء من أحوالهم، ولبعضهم مع العلماء أخبار متنوعة، فهؤلاء الأعراب الرواة، أي المعروفون بالرواية، وهم

١ - الفراء، معاني القرآن، تحقيق: نجاتي، النجار، شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د.ت)، ط ١: ٢٤٩/٢.

٢ - السابق: ٤٥٩/١.

٣ - أبو زيد، النوادر، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت-القاهرة، (١٩٨١م)، ط ١: ٤٠٩.

٤ - السابق: ٤٧٢.

٥ - أبو عبيدة، مجاز القرآن: ٢٦٩/٢.

٦ - السابق: ٢٣/٢.

أصحاب سليقة مثقفة، ومن أمثلة الرواية عنهم رواية الفراء المتكررة عن أبي ثروان العُكلي^(١)، وأبي الجراح العُقيلي^(٢)، ورواية أبي عبيدة المتكررة عن أبي عمرو الهذلي^(٣)، ورؤبة^(٤)، ورواية أبي عبيد القاسم بن سلام عن الأموي أكثر من خمسين مرة^(٥)، وروايته المتكررة عن أبي زياد الكلابي^(٦)، وأبي الجراح العُقيلي^(٧)؛ فهؤلاء من الأعراب الرواة الذين عرفهم العلماء، ونقلت أشياء من أخبارهم، وفيها ما يدل على أنهم - بالإجمال- أصحاب ممارسات علمية، وعلى درجة من العلم، وقلة قليلة منهم كانوا في درجة العلماء المعروفين.

ونقف على أخبار الأعراب الرواة بصورة أساس في كتب طبقات اللغويين والنحاة؛ مثل أخبار السيرافي وطبقات الزبيدي وإنباه الرواة للقضي ونحوها، وأهم مصدر لأخبارهم على الإطلاق فصل في "الفهرست" للنديم خصصه لهم، وهو بعنوان "أسماء فصحاء العرب المشهورين الذين سَمِع منهم العلماء، وشيء من أخبارهم وأنسابهم"^(٨)، وهو فصل خطير الشأن حفظ به مؤلفه جملة مفيدة من أخبار الأعراب الرواة، وتفرّد عنهم بما لا نجده عند غيره. ونقف على أخبارهم بصورة ثانوية في كتب الأدب؛ مثل مجالس العلماء للزجاجي، والأماشي للقالبي، والأغاني للأصفهاني، والعقد الفريد لابن عبد ربه وغيرها^(٩)، وقد يذكر العالم عند الرواية عن الأعرابي شيئاً عنه، ولو قليلاً؛ مثل الوصف بالفصاحة، وهذه الحالة الأخيرة قد نجدها منقولة في كتب تأخرت عن زمن السماع^(١٠)، وقد نقف على شيء من أخبارهم في كتب التراجم العامة؛ مثل الوافي بالوفيات للصفدي^(١١).

١ - يُنظر: الفراء، معاني القرآن: ١/ ٥٦، ٢٠٩، ٢١٢، ٢٢٨، ٣٨٠/٢، ٣٢٢، ١٢١/٣، ٢٧٢.

٢ - يُنظر: السابق: ١/ ١٤٠، ٣٨٩، ٢/ ٣٠، ٩٣، ١٣٩، ٣٧٦.

٣ - يُنظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن: ١/ ٢٩، ١٠١، ١٧٤، ٣٤/٢.

٤ - يُنظر: السابق: ١/ ٣٥، ٤٤، ١٥٤/٢.

٥ - يُنظر: أبو عبيد، الغريب المصنف، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (ج ١): السنة السادسة والعشرون، العددان: (١٠١، ١٠٢)، ١٤١٤/١٤١٥ هـ، (ج ٢): السنة السابعة والعشرون، العددان: (١٠٣، ١٠٤)، ١٤١٦/١٤١٧ هـ: ١/ ٣١٣، ٣١٤، ٣١٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٢، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٨٩، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٣، ٤٠٥، ونكتفي بهذا القدر من الإحالات.

٦ - يُنظر: السابق: ١/ ٣٩٠، ٤٣٣/٢، ٤٥٥، ٤٧٣، ٤٨٤.

٧ - يُنظر: السابق: ١/ ٤٠٠، ٤٥٢/٢، ٤٧٣، ٤٨٠.

٨ - النديم، الفهرست: ٤٩.

٩ - وأمثلة ما تقدّم كثيرة في البحث كما سيأتي.

١٠ - ومثاله نقل الأزهرى لقصة أبي عبيدة مع أم الهيثم ووصفها بالفصاحة كما سيأتي.

١١ - ومثاله نقله لأخبار الأعراب الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر، ونقله للمناظرة بين الأصمعي وأبي مسحل كما سيأتي.

وقد تفرّد النديم بأخبار للأعراب الرواة، ونقل ما لا نجد في أقدم ما بلغنا من كتب طبقات اللغويين والنحاة، أي مؤلفات نهاية القرن الرابع؛ مثل "أخبار النحويين البصريين" للسيرا في (ت. ٣٦٨هـ) و"طبقات النحويين واللغويين" للزبيدي (ت. ٣٧٩هـ)، تفرّد النديم عن أولئك المؤلفين مع أنه متأخر قليلاً عن زمانهم^(١)، ومع أنهم جميعاً متأخرون عن حركة السماع الأساسية من الأعراب التي كانت من منتصف القرن الثاني تقريباً إلى ما بعد منتصف القرن الثالث تقريباً، فمما تفرّد به النديم ذكر مؤلفات الأعراب، وهي التي اندثر جلّها مع الزمن ولم يبلغنا منها إلا نادرة نادرة، وتفرّد بتفاصيل عنهم؛ مثل ذكر الشعراء منهم وشيء من أشعارهم، وأخبارهم ولطائفهم مع أقرانهم الأعراب أو الآخذين عنهم، ومثل الحواضر التي نزلوها، واستوفى ذكر الأسماء والأنساب والكنى لبعضهم مع أن شهرتهم عند غيره ببعض ذلك، وذكر عن قلة منهم أنهم ليسوا من العرب صليبة بل من الموالي، وذكر الذين وقف على خطوطهم منهم. وإذا تناولنا سبب تفرّد النديم فإنه يعود إلى أنه كان ورّاقاً، وذلك هو المجال المهني الجامع بينه وبين كثير من الأعراب الرواة، وهي المهنة التي أمكنت النديم بالأصل من تأليف "الفهرست"، فالظاهر أنه وقف على ذلك في بعض كتب الأعراب الرواة التي لم تبلغنا، أو على ما كتبه النساخون عليها تعريفاً بالمؤلف، فقد تكرر أنه أورد أمورا عنهم وأعقب ذلك بأنه وقف عليه بخط فلان أو فلان، ويحتمل أنه وقف عليها فيما يكتبه الورّاق من الأعراب الرواة تعريفاً بنفسه، وذلك على سنة تعريف ناسخ الكتاب بنفسه.

ثانياً: الممارسات العلمية عند الأعراب الرواة

تبيّن أدلة وتُشير قرائن أن في الأعراب الرواة المُسمَّين الموصوفين بالفصاحة من ليسوا أعراباً بالمعنى الذي يتبادر عند إطلاق كلمة "أعرابي"، أو بعبارة أخرى: ليسوا أعراباً اقتصر أمرهم على امتلاك اللغة سليقةً، بل هم أعراب ثقّفوا أنفسهم وصقلوا من سليقتهم وأصحاب ممارسات علمية متنوعة، وبيان ذلك في الوقوف على تفاصيل من أحوالهم من خلال الأمور الآتية:

الأمر الأول: تعلّم الأعراب الرواة

تدل أخبار تحكي عن زمن الاحتجاج وعلماء اللغة والنحو القُدّم أن ثمة أعراباً كان لهم شغف بالمعرفة اللغوية، فكانوا يحضرون حلقات النحاة الأعلام. جاء في ترجمة شيخ سيويه يونس بن حبيب "وكانت حلقاته بالبصرة ينتابها أهل العلم وطلاب الأدب وفصحاء الأعراب والبادية"^(٢)، وشاهدنا من حلقة يونس النوعان الأخيران: فصحاء الأعراب وفصحاء البادية. وفصحاء الأعراب هم سكنة الحضر من أصل بدوي،

١ - كان النديم حياً في ٣٧٧هـ كما يُستفاد من كتابه، وقد توفّي في ٤٣٨هـ، يُنظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ط ١٥: ٢٩/٦.

٢ - السيرا في، أخبار النحويين البصريين: ٢٨.

وفصحاء البادية من سكان البادية نفسها، ويتبين ذلك أيضا برواية أخرى تصف الحلقة عينها "وكانت حلقاته بالبصرة، ومنتابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الأعراب ووفود البادية"^(١).

ومن الأخبار المشيرة إلى طلب الأعراب للمعرفة اللغوية ما "يروى أن أعرابيا وقف على حلقة أبي زيد جاديا^(٢) - أي مستميجا^(٣) - فظن أبو زيد أنه جاء ليسأل في النحو فقال له أبو زيد: سل يا أعرابي عما بدا لك! فقال على البديهة:

لَسْتُ لِلنَّحْوِ جِئْتُكُمْ لَا وَلَا فِيهِ أَرْغَبُ
أَنَا مَا لِي وَلَا مَرِيئُ أَيْدِ الدَّهْرِ يُضْرَبُ
خَلَّ زَيْدًا لِشَأْنِهِ حَيْثُ مَا شَاءَ يَذْهَبُ^(٤)

فالأعرابي -الذي لا يعدو أن يكون أعرابيا- له شأنٌ يُغنيه، وليس مما يعنيه سؤال أهل النحو عن الرفع والنصب والجر، غير أن السؤال عن النحو هو ما وقع في ظن أبي زيد الأنصاري. صرح بذلك في الخبر، وعبارة أبي زيد نفسه توافقه؛ إذ جاء فيها الأمر بالسؤال متعديا بـ"عن"، وذلك يدل على السؤال عن معرفة ما، وخالصة الأمر أن أبا زيد خاله أعرابيا صاحب فضول لغوي فرخص له في السؤال، وقوله: "سل يا أعرابي" يفيد أن سؤال الأعراب في شأن النحو -أمرٌ معروف عنده، لكن الأعرابي كان سائل فضل لا سائل نحو، فشرع ينفي عن نفسه المجيء للنحو في صدر البيت الأول "لست للنحو جئتكم" فأثبته بنفي مكرر في العجز "لا ولا فيه أرغب"، ثم أكد الإعرابي بعده عن زيد المضروب دهره بقوله: "أنا ما لي ولا مريئ أهد الدهر يضرب"، ورد الأعرابي بنفي رغبته في السؤال عن النحو -يشير إلى أن سؤال الأعراب عن النحو أمر معروف عند الأعرابي نفسه.

ومن الأعراب الرواة الذين أخذوا من العلماء أبو مالك الأعرابي عمرو بن كركرة. وقد ذكر أبو سعيد السكري أن عمرو بن كركرة سمع من أبي عمرو بن العلاء وغيره من رجال البصريين^(٥)، وممن أخذ عن العلماء أبو مسحل الأعرابي، فقد ذكر عنه أنه كان يحفظ عن علي بن المبارك الأحمر (صاحب الكسائي ومؤدب الأمين) أربعين ألف بيت شاهد في النحو، وجاء أن أبا العباس ثعلبا قال: ما ندمت على

١ - النديم، الفهرست: ٤٧.

٢ - "الجادي: السائل العافي... ويُقال: جدوؤه سألته وأعطيته، وهو من الأضداد"، ابن منظور، لسان العرب: (جدي) ١٣٤/١٤.

٣ - "السائل: مُتَمَّحٌ ومُسْتَمَّحٌ، والمسؤول: مُسْتَمَّحٌ. ويُقال: امتح فلان فلانًا إذا أتاه يطلب فضله، فهو مُتَمَّحٌ"، السابق: (ميح) ٦٠٧/٢.

٤ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٤٣-٤٤.

٥ - يُنظر: أبو زيد، النوادر: ٢٣١، ويُنظر: القفطي، إنباه الرواة: ٣٦١/٢.

شيء كندمي على ترك سماع الأبيات التي كان يرويها أبو مسحل عن الأحمر^(١).

ذلك ضرب من "تعلم الأعراب الرواة"، وثمة ضرب آخر، وهو أخذ الأعرابي عن مثله، ولعله من غريب ما يذكر في تراجم أولئك الأعراب! قال أبو الفرج النديم: "للحياني غلام الكسائي، واسمه علي بن المبارك، وقيل بن حازم، ويكنى أبا الحسن. لقي العلماء والفصحاء من الأعراب"^(٢). يأتي ذيل الخبر إشارة لبيان مصادر تلقيه "لقي العلماء والفصحاء من الأعراب"؛ فأما أخذه عن العلماء فمثل ما سبق من أخذ ابن كركرة عن ابن العلاء وغيره من البصريين، ولكن الشاهد في أخذه عن مثله من الأعراب الفصحاء. وقد ذكر النديم ما يصلح أن يكون مثالا آخر لأخذ الأعراب عن أعراب مثلهم، وفيه ما يحتاج إلى إيضاح، وذلك قوله: "الأموي: واسمه عبد الله بن سعيد، وليس هو من الأعراب. لقي العلماء ودخل البادية وأخذ عن الفصحاء من الأعراب، وله من الكتب: كتاب النوادر، كتاب رحل البيت"^(٣)، ولا يخفى الإشكال في أن يذكر النديم الأموي في الفصل المختص بالأعراب الرواة مع قوله فيه: "وليس هو من الأعراب"، والأموي محتج به. قال القفطي: "وأخذ عنه العلماء وأكثروا في كتبهم، وكان ثقة في نقله"^(٤)، وقال الزبيدي فيه: "روى عنه أبو عبيد وغيره"^(٥)، وقد نقل عنه أبو عبيد في "الغريب المصنف" أكثر من خمسين مرة^(٦)، ونقل عنه ابن السكيت في "الألفاظ" أكثر من خمس وعشرين مرة^(٧)، وفي "إصلاح المنطق"^(٨)، ونقل عنه ابن قتيبة في "الجرانيم"^(٩)، ولا نعرف فيه كلاما، إلا ما نقله السيوطي عن أبي حاتم "إذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها، وحكيت عن العرب شيئا فإنها أحكيه عن الثقات منهم؛ مثل أبي زيد

١ - يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ١٣٥، ويُنظر: نزهة الألباء: ٨٠.

٢ - يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٤، وقد أثبت رضا تجدد في المتن "وقبل بل حازم"، وذكر في الهامش أنه في نسخة "ابن حازم"، وذلك ما أثبتته فيجل، يُنظر: تحقيقه: ٧٠، وهو بالحاء كذلك عند: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ١٩٥، والقفطي، إنباه الرواة: ٢٥٥/٢.

٣ - النديم، الفهرست: ٥٤.

٤ - القفطي، إنباه الرواة: ١٢٠/٢.

٥ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ١٩٣.

٦ - تقدم ذكر الإحالات من كتاب أبي عبيد في "أولا: أنواع أعراب الرواية اللغوية".

٧ - يُنظر: ابن السكيت، كتاب الألفاظ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٨٨م، ط ١: ٩، ٨٥، ٦١، ٦٤، ٧٨، ٨٠، ١٠١، ١١٣، ١١٧، ١٢١، ١٣٧، ١٥٧، ١٧١، ١٩٩، ٢٠٣، ٢٢١، ٢٣٩، ٣٠٣، ٣٢٨، ٣٥٣، ٤٥٤، ٤٧٢، ٤٧٧، ٤٨٩.

٨ - يُنظر: ابن السكيت، إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ط ١: ٧٢، ٨٣، ٩٣، ٢٥٤، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦.

٩ - يُنظر: ابن قتيبة، الجرانيم، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧م، (د.ط): ١/٢٢٣، ٢٦٦، ٣٠٦.

والأصمعي وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم، ولا ألتفت إلى رواية الكسائي والأحمر والأموي والفرء ونحوهم"^(١)، وهذا الكلام وارد في عموم سياق الصراع بين المذهبين، لا في الأموي على وجه الخصوص، ففيه رُفض الأموي كما رُفض الكسائي والفرء. وإذا عدنا إلى توجيه قول النديم الذي لم يقله في غير الأموي "وليس هو من الأعراب" مع أنه ذكره في فصله عن الأعراب الرواة ومع أنه حجة منقول عنه، فوجهه أن الأموي ليس قادمًا من البادية كما هو الشأن العام للأعراب الرواة، لكنه عربي في زمن الاحتجاج وكان فصيحًا مُثقفًا لسليقته، فكان في حكم الأعراب في الحجة، وإن لم يكن من البادية.

وفي آخر المطاف (في شأن أخذ الأعرابي عن غيره) إذا كان الأعرابي يأخذ عن النحوي صاحب المعرفة المكتسبة ويأخذ عن الأعرابي صاحب السليقة، فلا نراه إلا مشابهًا للنحوي نفسه الذي أخذ عن النحاة وعن الأعراب.

الأمر الثاني: التأليف عند الأعراب الرواة

مما يكشف فصل "الفهرست" الفريد عن الرواة الأعراب أن جلهم أصحاب مؤلفات، وقد ذكر أبو الفرج النديم بضعة وثلاثين مؤلفًا للأعراب الرواة. نسب لأبي زياد الكلابي أربعة كتب: كتاب النوادر، كتاب الفرق، كتاب الإبل، كتاب خلق الإنسان^(٢)، ولأبي العميثل ثلاثة كتب: كتاب التشابه، كتاب الأبيات السائرة، كتاب معاني الشعر^(٣)، ولأبي عدنان كتابين: كتاب القوس، كتاب غريب الحديث^(٤)، ولأبي مسحل كتابين: كتاب النوادر، كتاب الغريب الوحشي^(٥)، ولعمرو بن كركرة كتابين: كتاب خلق الإنسان، كتاب الخيل^(٦)، ولأبي ثروان العُلي كتابين: كتاب خلق الفرس، كتاب معاني الشعر^(٧)، ولربيعة البصري كتابين: كتاب ما قيل في الحيات من الشعر والرجز، كتاب حنين الإبل إلى الأوطان^(٨)،

١ - السيوطي، المزهري: ٣٥١/٢.

٢ - يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٠.

٣ - يُنظر: السابق: ٥٥.

٤ - يُنظر: السابق: ٥١.

٥ - يُنظر: السابق: ٥٢.

٦ - يُنظر: السابق: ٤٩.

٧ - يُنظر: السابق: ٥٢.

٨ - يُنظر: السابق: ٥٥. أثبت رضا تجدد لفظ "الخيار" في العنوان "كتاب ما قيل في الخيار..."، وأشار في الهامش إلى أنه في نسخة "الحيات"، وهذا الأخير ما أثبتته فليجل: يُنظر: تحقيقه: ٧٢، و"الحيات" أرجح، لأنها المذكورة في الشعر والرجز لا "الخيار"، ولأن هناك من العلماء من ألف في هذا الموضوع: مثل أبي عبيدة، يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٩، ولأن "الخيار" ليست بعربية، وفي لسان العرب "والخيار: نبات يشبه القثاء، وقيل هو القثاء، وليس بعربي"، ابن منظور، لسان العرب: (خ ي ج) ٢٦٧/٤.

وللأموي كتابين: كتاب النوادر وكتاب رحل البيت^(١)، ولأبي المنهال كتابين: كتاب الشراب وكتاب الأمثال السائرة أو الأبيات السائرة^(٢)، ولأم البهلول كتابا: كتاب النوادر المصادر^(٣)، ولأبي خيرة نَهْشَل كتابا: كتاب الحشرات^(٤)، ولأبي مُسَهَر الأعرابي كتابا: كتاب الشعر والشعراء^(٥)، وللفقعسي كتابا: كتاب مآثر بني أسد وأشعارها^(٦)، وللحرمازي كتابا: كتاب خلق الإنسان^(٧)، وللقيسي كتابا: كتاب الشعر والشعراء^(٨)، ولأبي السمح كتابا: كتاب الإبل^(٩).

وربما أشار النديم إلى حجم مؤلف لأحد الأعراب الرواة فيُفاجئ، فقد ذكر لأبي شنبَل العُقيلي كتابا وقال: "رأيتُه بخطّ عتيق بإصلاح أبي عمر الزاهد نحو ثلاثمئة ورقة"^(١٠)، وذكر لدهمج بن محرز كتابا وقال: "رأيتُه نحو مئة وخمسين ورقة"^(١١)، والكتابان بعنوان "كتاب النوادر".

١ - النديم، الفهرست: ٥٤.

٢ - يُنظر: السابق: ٥٤، والتردد في اسم الكتاب من النديم.

٣ - عبارة النديم -بحسب ما أثبت رضا تجدد- "قريبة أم البهلول الأُسدية، ولأم البهلول كتاب النوادر والمصادر"، السابق: ٥٣، و-بحسب ما أثبت فليجل- "قريبة أم البهلول، دلامز البهلول رأيت له كتاب النوادر والمصادر بخط السكري"، السابق: ٧٠، وهنا مسألة: هل هناك شخصيتان في الأعراب الرواة "أم البهلول" و"دلامز البهلول" أو شخصية واحدة؟ فيكون "دلامز" تصحيف من "ولأم"، ونرجح أن الأمر تصحيف، وأنها شخصية واحدة "أم البهلول"، ومما يرجحه قول القفطي: "وصنفت أم البهلول كتاب النوادر وكتاب المصادر. كتبهما السكري بخطه"، القفطي، إنباه الرواة: ٤/١٢١، وأنه لم يذكر "دلامز" في أخبار السيرافي أو طبقات الزبيدي، ولا في الإنباه للقفطي، ولا النزهة للأنباري، ولا البلغة للسيوطي، وعلى ذلك تكون أم البهلول الأُسدية هي الأعرابية الوحيدة التي نُسب لها التأليف، وتكون من أقدم المؤلفات في الحضارة العربية، وبقيت مسألة أخرى: هل هو كتاب واحد بعنوان "كتاب النوادر والمصادر" أو هما كتابان كما تفيد عبارة القفطي، وسيأتي الحديث المفصل عن ذلك في النقاش مع الشلقاني في "ثالثا: الصورة المتخيلة عن أعراب الرواية اللغوية ودفعها".

٤ - يُنظر: السابق: ٥١.

٥ - يُنظر: السابق: ٥٣.

٦ - يُنظر: السابق: ٥٥.

٧ - يُنظر: السابق: ٥٤.

٨ - يُنظر: السابق: ٥٣.

٩ - النديم، الفهرست: ٥٠، وقد أثبتته رضا تجدد هنا "أبو الشمخ" بمعجمتين، وأورد في الهامش أنه في نسخة "الشمخ"، وقد ورد في موضع آخر من تحقيق رضا تجدد "أبو الشمخ الطائي ممن أحضر في أيام المعتز ليؤخذ عنه"، السابق: ٥٣، فأثبت في الموضوعين من المتن ما ليس صوابا، وقد أثبت فليجل في الموضوع الأول "أبو الشمخ" بمعجمة ثم مهملة، يُنظر: تحقيقه: ٦٨، وقد ورد عنه في الموضوع الثاني "أبو الشمخ الطائي ممن أحضر في أيام المعتز ليؤخذ عنه"، السابق: ٧١، فأصاب في الموضوع الثاني، وقد أورد القفطي في الأعراب الذين دخلوا الحاضرة "أبو الشمخ الطائي أحضر أيام المعتز بالله ليؤخذ عنه"، القفطي، إنباه الرواة: ٤/١٢٢.

١٠ - السابق: ٥١.

١١ - السابق: ٥١.

"النوادر" عنوان استهوى القُدُم أعرابا وعلماء للتأليف فيه، وممن ألف فيه من العلماء: أبو عمرو بن العلاء والكسائي والضراء والأصمعي وأبو محمد اليزيدي وابن دريد^(١)، بل نجد أن العالم قد يكون له أكثر من مؤلف بذلك الاسم، ومثاله أن يونس بن حبيب له: النوادر الكبير والنوادر الصغير^(٢)، وأبو عمرو الشيباني له ثلاث نسخ: كبرى وصغرى ووسطى^(٣)، والكسائي له: النوادر الكبير والنوادر الأوسط والنوادر الأصغر^(٤)، ويبدو أنه كان عنوانا مناسباً لاستعراض المعارف اللغوية بانفتاح مُريح لا يُلزم بموضوع معين^(٥).

وقد كثر هذا العنوان في مؤلفات الرواة الأعراب حتى كان النديم في مواضع لا يذكر عن الأعرابي خبراً سوى أن له كتاباً بذلك العنوان؛ مثل قوله: "ومن فصحاءهم [أي فصحاء الأعراب] أبو المصْرَحِي، وله كتاب النوادر. رأيتُه بخط ابن أبي سعد"^(٦)، ومن الأعراب من لم يكن له إلا كتاب واحد، وكان بعنوان النوادر، فمنهم اللحياني غلام الكسائي، ذكر له النديم كتاباً واحداً: كتاب النوادر^(٧)، ومثل ذلك أبو شنبل العُقيلي ودهمج بن مُحْرز (قد تقدم ذكر ذلك).

وقد كثر ذكر المؤلفات في تراجم أولئك الأعراب الفصحاء، حتى كأن سمة التأليف كانت الأصل فيهم؛ إذ كان النديم إذا وقف على أعرابي ليس له مؤلف نبّه على ذلك؛ مثل أبي عرار قال فيه: "ولا مصنّف له"^(٨)، وأعاد تلك العبارة في آخرين: أبي الجاموس ثور بن يزيد^(٩) وأبي مهدية^(١٠).

هذا؛ وقد جاد الزمان فحفظ لنا أنموذجات من مؤلفات الأعراب الرواة ليُخرج ذلك النوع من الكتب من حيّز الخبر التاريخي المحض؛ فمما لم يسقط من يد الزمان: كتاب "النوادر" لأبي مسْحَل ابن

١ - نجد في "الفهرست" عنواناً فرعياً "تسمية الكتب المؤلفة في النوادر"، يُنظر: النديم، الفهرست: ٩٧، وفيه ينسب تأليف كتاب النوادر أولاً إلى علماء، ويثني بالأعراب الرواة.

٢ - يُنظر: السابق: ٤٧-٤٨.

٣ - يُنظر: السابق: ٩٦.

٤ - يُنظر: السابق: ٧٢.

٥ - ويبدو ذلك جلياً فيما تبقى لنا من مؤلفات بذلك العنوان، ومنها كتاب "النوادر" لأبي زيد الأنصاري، وكتاب "النوادر" لأبي مسْحَل. واشتهار عنوان "النوادر" في تأليفات الرواة الأعراب يُشبهه اشتهاً عنوان "السنن في الفقه" في تأليفات المُحدِّثين؛ إذ ذَكَرَ النديم عند كلامه عن "فقهاء المُحدِّثين وأصحاب الحديث" أكثر من عشرين عالماً ممن ألف بذلك العنوان، يُنظر: السابق: ٢٨١ وما بعدها.

٦ - النديم، الفهرست: ٥٣.

٧ - يُنظر: السابق: ٥٣.

٨ - السابق: ٥٠.

٩ - يُنظر: السابق: ٥٠.

١٠ - يُنظر: السابق: ٥٢.

حريش^(١)، ويقع الكتاب مطبوعاً في نحو ثمانمئة صفحة^(٢)، ومن ذلك "كتاب المأثور في اللغة (ما اتفق لفظه واختلف معناه)" لأبي العميثل^(٣)، ويقع الكتاب مطبوعاً في نحو مئتي صفحة^(٤)، ومن ذلك "كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، وما فيها من القرى، وما ينبت عليها من الأشجار، وما فيها من المياه" لعمر بن الأصم السلمي^(٥)، ويقع الكتاب مطبوعاً في نحو سبعين صفحة^(٦).

ومما يقترب من التأليف عند الأعراب وضع منظومة في الغريب، وإن كان لذلك مثال صريح يتيم يُدلي به النديم، وهو ما ذكره عن شُبَيْل الضُّبَعِي من أن له قصيدة في الغريب^(٧)، وليس قصد الغريب وجمعه في قصيدة إلا من سمات أعرابي ذي ممارسات علمية، وذكر النديم في جهم بن خلف المازني "وله شعر في الحشرات والجراح من الطير"^(٨)، فالظاهر أنه من نظم الغريب في ذلك الباب.

وبعد استعراض عنوانات مؤلفات الرواة الأعراب نلاحظ أن طابعها العام اللغة وغريبها؛ سواء أكان ذلك من خلال عنوانات عامة؛ مثل "النوادر" و"الغريب"، أم كان من عنوانات أخص؛ مثل "خلق الإنسان"، "الخيال"، "الإبل"، "الحشرات"، "رحل البيت"، "الأنواء"، ويلى ذلك طابع العناية بالشعر، ويبين ذلك عنوانات "الشعر والشعراء"، "معاني الشعر"، "الأبيات السائرة"، وإذا عدنا إلى الطابع العام لمؤلفات الأعراب فذلك مؤشّر نعرف من خلاله أن أكثر مجال عني به هؤلاء الأعراب هو اللغة وغريبها، وقد كانت

١ - ترجم له النديم، يُنظر: السابق: ٥٢، وقد ذكر كتابه "النوادر" مرة في ترجمته، وأخرى في "تسمية الكتب المؤلفة في النوادر"، يُنظر: السابق: ٩٦.

٢ - أبو مسحل الأعرابي، النوادر، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٠م، (د.ط.).

٣ - ترجم له النديم، يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٤.

٤ - أبو العميثل، كتاب المأثور من اللغة (ما اتفق لفظه واختلف معناه)، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨م، ط ١.

٥ - ذكر النديم اسمه تحت عنوان "ومن خطوط العلماء"، النديم، الفهرست: ٥٣، ولم يذكر من أخباره شيئاً، وذكر غيره أنه من الأعراب الذين دخلوا الحاضرة، وكان أيضاً من أعراب استقدمهم ابن طاهر إلى نيسابور، يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: ٢٠٢/٤، وقد نُقل عنه كثيراً في المعاجم، فمثلاً ذكر في معجم "العين" ما يزيد على أربعين مرة، وقد دُكر باسمه ونسبته "عمر السلمي" مرة واحدة، يُنظر: الخليل، معجم العين: ٣١٩/١، ودُكر باسمه وحده في بقية ذلك، يُنظر: السابق: ٩٧/١، ٩٨، ١٠١، ١٠٨، ١١٩، ١٢٤، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٥، ١٤٧، ١٨٩، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٩، ونكتفي بهذا القدر من الإحالات.

٦ - عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٤م، ط ٢. والكتاب يحوي عدداً من المؤلفات، ويقع كتاب عرّام في: ٣٧١/٢ - ٤٤١.

٧ - ذكرها مرة في ترجمته، يُنظر: النديم، الفهرست: ٥١، وذكرها أخرى تحت عنوان "القوائد التي قيلت في الغريب"، يُنظر: السابق: ١٩٦.

٨ - النديم، الفهرست: ٥٣.

مؤلفات هؤلاء الأعراب من البذور الأولى للمعجمية العربية.

الأمر الثالث: الأعراب الرواة في السياق المهني

كان العلم بالعربية وبضاعة الصحراء مفتاحاً لأبواب من الكسب أمام هؤلاء الأعراب الفصحاء. وكان التوريق المهنة الأكثر شيوعاً بينهم، وقد وضع النديم في الفصل المعقود عن أسماء فصحاء العرب المشهورين عنواناً "ومن خطوط العلماء"^(١)، وذكر تحت ذلك ما يزيد على الثلاثين منهم، وفيهم عدد من الأعراب الرواة المعروفين وممن ترجم له هو نفسه، وذكر لهم كتباً أو أخباراً^(٢)، ومنهم أبو الجراح العُقيلي وأبو المُجيب الربيعي والعَدَبَس الكِناني وأبو الحدِرْجان وأبو الدُقَيْش القَناني العَنَوي، بل يذكر النديم في أصحاب الخطوط أعرابيات: أم الهيثم^(٣) وأم الحُمَارَس^(٤) وقُرْبِيَّة أم البُهْلُول^(٥)، واشتغال النساء بالتوريق معروف في الحضارة الإسلامية^(٦)، ولنا أن نعدّ أولئك الأعرابيات أقدم الورقات عند العرب^(٧)،

١ - يُنظر: السابق: ٥٣.

٢ - أما القفطي فقد أورد جميع الأسماء المذكورة عند النديم تحت عنوان "ومن الأعراب الذين دخلوا الحاضرة جماعة أذكر أسماءهم، وهم...". يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: ١٢٠/٤ وما بعدها، ومعناه أنه عدّ جميع المذكورين في الخطوط من الأعراب الرواة، وذلك هو الصحيح، وفي هامش ذلك استظهر المحقق أنه ناقل عن النديم، والأمر كما استظهر، وآية ذلك أن القفطي سرد كثيراً منهم سرداً من دون أي معلومة، وفي بعضهم ذكر شيئاً قليلاً، وكان ذلك هو ما فعله النديم أصلاً، ينظر مثلاً ما قاله القفطي في أبي السمح الطائي وابن زيد المازني وأبي النعمان وأبي مسلم العاصي، ويقابل بما قاله النديم فيهم.

٣ - لقيها ونقل عنها غير واحد من اللغويين. نقل أبو زيد الأنصاري عنها، يُنظر: أبو زيد، النوادر: ١٩٠، وفي "التهذيب" للأزهري نقلٌ لأبي حاتم عنها. يُنظر: الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، ١٩٦٤م، (د.ط.): (ختلج) ٢٧٦/٣، وقد وصفها أبو حاتم في هذا الموضوع بأنها "أعرابية فصيحة"، ولها قصة مع أبي عبيدة، يُنظر: السابق: (زلخ) ٩٥/٧.

٤ - نقل عنها ابن السكيت، "... وسمعت من أم الحُمَارَس البكرية"، ابن السكيت، إصلاح المنطق: ٣٨، "وقالت: غنية الكلابية أم الحُمَارَس..."، السابق: ٢٤٥، "وقالت أم الحُمَارَس الكلابية، وأبو مهدي..."، السابق: ٢٧٣.

٥ - لها ذكرٌ في: القفطي، إنباه الرواة: ١٢١/٤، وقد تقدّم وهم القفطي في أنه نسب إليها من التأليف ما هو إلى غيرها، وعنها نقل في: السرقسطي، الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: د. محمد القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م، ط ١: ١٨٩/١.

٦ - يُنظر: علي النملة، الوراقة وأشهر أعلام الوراقين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٥م، (د.ط.)، وقد ذكر الورقات الآتيات: الرضا بنت الفتح: ٩٢، راضية مولاة الإمام عبد الرحمن: ٩٢، سارة بنت أحمد: ٩٣، سعيدة بنت محمد: ٩٥، صفية بنت عبد الله: ٩٨، عائشة بنت أحمد: ٩٩، عائشة بنت عمارة: ١٠٠، فاطمة بنت زكريا: ١٢٤، ورقاء بنت بنتان: ١٥٢، ويُنظر: د. خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١١م، ط ١: ٢١٠/٥، فقد ذكر فصلاً بعنوان "النساء الوراقات" وذكر فيه: الوراقة توفيق السوداء، ثناء الوراقة، الجارية الوراقة.

٧ - فهن أسبق زمنًا ممن ذكر النملة وخير الله سعيد من الوراقات. يُنظر: الهامش السابق.

وممن نصّ النديم على عمله بالتوريق خارج ذلك العنوان عمرو بن كِرْكِرَة^(١)، بل تشير أخبار إلى أن مهنة التوريق انتقلت إلى الجيل التالي لهؤلاء الأعراب، ومن ذلك ما ذكر في قصة تحاكم أبي خيرة والمنتجع إلى أم خيرة وأن المنتجع قال لها حين لم تحكّم له: "أفسدك ابنك"، وجاء في القصة "وكان وراقاً"^(٢).

ولنا أن نسأل عن سبب شيوع مهنة الوراقة بين الأعراب الرواة، والسبب يعود إلى ظاهرة "ورّاقى العلماء" المعروفة في عالم الوراقة^(٣)، فكان للعالم وراقون ينسخون كتبه ويبيعونها، ومما قاله النديم في وراقى علماء اللغة: "ومن أصحاب أبي عبيدة دَمَازُ أَبُو غَسَّانَ، واسمه: رفيع بن سلمة بن مسلم بن رفيع العبدي. روى عن أبي عبيدة، وكان يُورِّقُ كتبه"^(٤)، وقال: "ومن وراقى المبرد: ابن الزجاجي واسمه إسماعيل بن أحمد، والساسي واسمه إبراهيم بن محمد"^(٥)، وقد ذكر في وراقى الفراء: سلمة بن عاصم، وأبو نصر ابن الجهم^(٦)، ومما حكى عن وراقى الفراء أنهم كانوا ينسخون كتاب المعاني، كل خمس أوراق بدرهم، فشكا الناس إلى الفراء، فحدثهم فأبوا، فأبلغ الناس أنه سيُملي كتاب معانٍ أتمّ شرحاً وأبسط قولاً، وشرع في ذلك، فعاد وراقوه إلى نسخ كل عشر أوراق بدرهم^(٧). وبهذا نعرف أن اقتران العالم والأعرابي كان يعود بالفائدة على كل منهما، فهذا يأخذ من ذاك اللغة، وذاك يورِّق كتب هذا ويقبض أجرتها، ولعل لهؤلاء الورّاقين الأعراب ميزة لم تكن لغيرهم من الورّاقين؛ ذلك أن علمهم بالعربية نحواً وغريباً جعل نُسخهم أوثق من نسخ غيرهم في بعدها عن التصحيف والتحريف.

ومما تكسّب به هؤلاء الأعراب التعليم والتأديب، فمن الذين اشتغلوا بتعليم الصبيان أبو البيداء^(٨)، ومن الذين اشتغلوا بالتعليم في البادية أبو ثروان العُكْلِي^(٩) وابن كِرْكِرَة^(١٠)، ونجد عبد الله بن طاهر يُقدِّم إلى نيسابور جماعة من أدباء الأعراب لتأديب أولاد قوّاده، ومنهم عَرَامُ وأبو العَمَيْثَلُ وأبو العَيْسَجُورُ

١ - جاء في ترجمة عمرو بن كِرْكِرَة "أعرابي، كان يُعلِّم في البداية ويورِّق في الحضر"، النديم، الفهرست: ٤٩.

٢ - ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦-٥٢م، ط ١: ٣/٣٠٥.

٣ - فهذا نوع من الورّاقين، وقد جعل صاحب موسوعة الوراقة والورّاقين الفصل السابع "ورّاقو العلماء والأدباء والوزراء"، يُنظر: د. خير الله سعيد، موسوعة الوراقة والورّاقين: ١٨٦/٥، وجعل الفصل الثامن "الورّاقون الدالّون"، السابق: ١٩٩/٥، وجعل الفصل التاسع "الورّاقون القضاة"، السابق: ٢٠٣، وجعل الفصل العاشر "الورّاقون الفولكلوريون"، السابق: ٢٠٨.

٤ - النديم، الفهرست: ٦٠.

٥ - السابق: ٦٥.

٦ - ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ط ١: ٤/٢٨١.

٧ - يُنظر: السابق: ٤/٢٨١.

٨ - "أبو البيداء الرياحي... أعرابي نزل البصرة، وكان يعلم الصبيان بأجرة"، النديم، الفهرست: ٤٩.

٩ - "أبو ثروان العُكْلِي من بني عكل. أعرابي فصيح. يعلم في البادية"، السابق: ٥٢.

١٠ - "أبو مالك عمرو بن كِرْكِرَة: أعرابي، كان يعلم في البادية"، السابق: ٤٩.

وأبو العَجَسِّس وعَوْسَجَة وأبو العُدَّافِر^(١)، وكان أبو العَمَيْثَل منهم خصوصا مؤدِّبا لولد ابن طاهر^(٢).

وعلى وجه العموم كانت بضاعة الأعراب مصدرا لتكسُّبهم، وكان المعتنون بذلك من معاصريهم يقدِّرون نفاثس البادية ويبدلون لأجل الأخبار واللغة، ودلَّت روايات على أن الأخذ عنهم كان يقتضي إنفاقا، فقد جاء عن أبي حماد الخياط أنه "كان من أطلب الناس لكلام الأعراب وأصبرهم على الإنفاق على أعرابي"^(٣)، ودلَّت أخبار أن بعض الأعراب اتخذ من معارفه سببا مباشرا للتكسُّب، وأصبح لا يجيب إلا بأجرة! فهذا نُهْشَل بن زيد العَدَوِي (أبو خَيْرَة) يُحكى عنه "وكان أبو خَيْرَة إذا سأله إنسان عن شيء ولم يُعطه شيئا يعتلّ عليه بالبول"^(٤).

وممَّن اعتنى بهؤلاء الأعراب وما عندهم من ذخائر الصحراء الأعيانُ وأرباب المناصب. جاء في ترجمة أبي شنبَل أنه وفد على الرشيد واتصل بالبرامكة^(٥)، ومثله أبو دعامة القيسي الذي انقطع إلى البرامكة^(٦)، وكان أبو الجاموس ثور بن يزيد يفد على آل سليمان بن علي^(٧)، وسليمانُ عمُّ المنصور ووالي البصرة وأحد الأجواد^(٨)، وحضر أبو مسحَل الأعرابي بغداد وافدا على الحسن بن سهل أحد وزراء المأمون^(٩)، ووفد مثله على الحسن بن سهل ابن ضَمَم الكلابي^(١٠)، وفي ترجمة الفتح بن خاقان الذي وُصف بأن المتوكل اتخذه أبا - أنه كان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين^(١١). ونجد أولئك الأعراب قريبا من أبواب الخليفة وأصحاب المناصب؛ فإذا احتيج إلى شيء من بضاعتهم اللغوية لبوا يدلون برأيهم، وقد مضت قصة الخلاف بين سيوييه والكسائي بين يدي الرشيد ببغداد، ويرد فيها أبو فقَّعَس وأبو دِثَار وأبو

١ - "لما قدم عبد الله بن طاهر نيسابور وأقدم [كذا بالواو] معه جماعة من فرسان طرسوس وملطية وجماعة من أدباء الأعراب. منهم عَرَام وأبو العَمَيْثَل وأبو العَيْسَجُور وأبو العَجَسِّس وعَوْسَجَة وأبو العُدَّافِر وغيرهم، فتفرَّس أولاد قواده وغيرهم بأولئك الفرسان، وتادَّبوا بأولئك الأعراب"، ياقوت، معجم الأدياء: ٢٥٤/١، ويُنظر: الصفدي، الوايف بالوفيات، تحقيق: الأرنؤوط، مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١: ٢٢٨/٦.

٢ - يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٤-٥٥.

٣ - ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٨١/٤.

٤ - الأصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ط ١: ٣٩٦/١٨.

٥ - يُنظر: النديم، الفهرست: ٥١.

٦ - يُنظر: السابق: ٥٣.

٧ - يُنظر: السابق: ٥٠.

٨ - يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ط ٢: ١٦٢/٦.

٩ - يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٢.

١٠ - يُنظر: السابق: ٥٢.

١١ - يُنظر ترجمته في: السابق: ١٣٠.

الجراح وأبو ثروان^(١)، ومن ذلك ما روي من خلاف بين اليزيدي والكسائي بين يدي المهدي، ويرد فيها أبو المطوق^(٢).

ومما نرى أنه منح الأعراب مكانة عند الأعيان أن كثيرا منهم كان رواية للشعر وأخبار العرب (تقدم في التمهيد)، وتلك بضاعة رائجة في الثقافة العربية، ويضاف إلى ذلك أنه وُصفَ عددٌ منهم بأنه شاعر، ومن الموصوفين بذلك أبو البيداء^(٣)، وأبو عرار^(٤)، وأبو زياد الكلابي^(٥)، وأبو عدنان^(٦)، وأبو شنبل العُقيلي^(٧)، والجرمزي^(٨)، والفقعسي^(٩)، وابن أبي صبح^(١٠)، وربيعة البصري^(١١)، وفي الشعر آنذاك مديحٌ فعطايا، وممن دُكر المديح عنهم ابن ضمضم. قيل في ترجمته: "وفد على الحسن بن سهل، وله فيه أشعار جياذ منها قصيدة لم يسبق إلى قافيتها، وهي:

سُقياً لِحَيِّ بِاللَوَى عَهْدُهُمْ مُنْذُ زَمَانٍ ثُمَّ هَذَا عَهْدُهُمْ"^(١٢)

وكذلك الفقعسي يُذكر في ترجمته "فمن شعره من أبيات يمدحُ الفضلَ بنَ الربيع:

النَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي أَحْوَالِهِمْ وَابْنُ الرَّبِيعِ عَلَى طَرِيقٍ وَاحِدٍ"^(١٣)

وفي الأخير نذكر أن الشاهد في ذكر تفاصيل السياق المهني للأعراب الرواة ما يدل على أن كثيرا منهم لم يكونوا أعرابا بالمعنى العام، فالاشتغال بالتوريق وبتعليم الصبيان وبتأديب أولاد الأعيان لا يكون لواحد من عامة أعراب البادية.

١ - يُنظر: السابق: ٥٧، ويُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: ٤/٤٧٥، وفي رواية "فأدخل أبو الجراح ومن وجد معه ممن كان يأخذ منه الكسائي وأصحابه"، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ٧١.

٢ - يُنظر: الزجاجي، مجالس العلماء: ٢٢١.

٣ - يُنظر ترجمته في: النديم، الفهرست: ٤٩.

٤ - يُنظر ترجمته في: السابق: ٥٠.

٥ - يُنظر ترجمته في: السابق: ٥٠.

٦ - يُنظر ترجمته في: السابق: ٥١.

٧ - يُنظر ترجمته في: السابق: ٥١.

٨ - يُنظر ترجمته في: السابق: ٥٤.

٩ - يُنظر ترجمته في: السابق: ٥٥.

١٠ - يُنظر ترجمته في: السابق: ٥٥.

١١ - يُنظر ترجمته في: السابق: ٥٥.

١٢ - السابق: ٥٢.

١٣ - السابق: ٥٥.

الأمر الرابع: ملامح علمية آخر عند الأعراب الرواة:

ثمة شواهد أخر تشير إلى ملامح علمية مختلفة عند الأعراب الرواة، فمن ذلك:

١ - مناظرة الأعرابي للعلماء الأعلام:

بلغ من شأو بعض الأعراب الرواة أن يعقد مناظرات مع كبار العلماء؛ فقد ذكر في أبي مسحل "وله مع الأصمعي مناظرات في التصريف"^(١)، ونحسب أن مناظرة أعرابي لأحد الأعلام مثل عبد الملك بن قريب الأصمعي في الصرف لها دلالة لا تخفى؛ لا سيما أن الصرف العربي يقوم على أصول افتراضية؛ مثل القول بأن "باع" أصلها "ب ي ع"، و"قال" أصلها "ق و ل"، ومناظرة عالم في الصرف تستلزم قدرا جيدا من مفاهيم ذلك العلم ومصطلحاته، وذلك ما لا يكون لصاحب السليقة المجردة^(٢).

وقد جادت مصادر بشيء مما كان بين أبي مسحل والأصمعي. "قال أبو بكر الصولي، قال ثعلب، حدثني أبو مسحل قال: كنت يوما مع بعض ولد طاهر إذ ذكر شيئا من التصريف، فمر بنا الأصمعي فقال: من هذا الداخل في علمنا؟! فقلت له: والله إنك لتعلم أن ذا ليس من علمك. إنما علمك الشعر واللغة، فقال: وهذا أيضا، فقلت له: فإن كان كما تزعم فابن من (رأيت) مثل (وصاليات ككما يؤثفين)، فسكت"^(٣)، ومن ذلك أنه "قال أبو مسحل: سألتني الحسن بن سهل: الشرى هل في مده حيلة؟ قلت: نعم، يمد ويقصر. فسأل الأصمعي، فقال: مقصور لا يمد. فجمع بيننا، فقال الأصمعي: يا أنوك! أتى وجدت الشرى يمد؟ فقلت: أشهر مثل للعرب: لا تحمدن أمة عام شرائها ولا عروسا عام هداها. قال: فسكت"^(٤).

٢ - حرص الأعرابي على المعرفة اللغوية

كان لبعض أولئك الأعراب رغبة في معرفة الصواب من أمر اللغة؛ فربما اختلف اثنان، فإذا هم يبحثان عن ثالث ليحكم بينهما، ومن ذلك اختلاف أبي المنتجع وأبي خيرة؛ أيقال: "أغمي عليه" أو "غمي

١ - السابق: ٥٢.

٢ - وفيما يروى ما يمكن أن نجد فيه أن الصرف عندهم أكثر صعوبة من النحو. "كان أبو مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان قد نظر في النحو، فلما أحدث الناس التصريف لم يحسنه وأنكره، فهجا أصحاب النحو، فقال:

قد كان أخذهم في النحو يعجبني	حتى تعاطوا كلام الزنج والرؤم
لما سمعت كلاما ليس يعجبني	كانه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمني	من التثخم في تلك الجرائم

القفطي، إنباه الرواة: ٢٩٢/٣.

٣ - الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١: ١٩٥/١٩.

٤ - الليغموري، نور القبس المختصر من المقتبس، تحقيق: رودلف زلهاميم، فرانكس شتاينر، فيسبادن، ١٩٦٤م: ٣١٣.

عليه"، ثم تحاكمهما إلى أمّ خيرة^(١)، ومن ذلك أيضا اختلاف أبي خيرة والمنتجع في "كمء" و"كمأة"؛ أيهما للمفرد وأيهما للجمع والتحاكم إلى رؤبة^(٢). إن ذاك الشغف بالعلم والرغبة في الصواب شأن محبّ للعلم لا شأن أعرابي من همّل الأعراب وعامتّهم.

ومن الحرص على المعرفة العلمية وقوع المباحثة العلمية بين الأعراب، ومثاله ما ذكره شبيل من أنه سأل رؤبة عن شيء في اللغة فلم يعرف جوابا، وقد حكى شبيل ذلك مؤردا اسم رؤبة بصيغة التصغير. ورد أن يونس قال: "كنت عند أبي عمرو بن العلاء، فجاءه شبيل بن عزة الضبّعي، فقام إليه أبو عمرو فألقى له لبداً بعلته، فجلس عليه، ثم أقبل يحدثه، فقال شبيل: يا أبا عمرو، سألت رؤيتكم هذا عن اشتقاق اسمه، فما عرفه. قال يونس: فلم أملك نفسي عند ذكره لرؤبة، فزحفت إليه ثم قلت: لعلك تظن أن معداً بن عدنان أفسح من رؤبة ومن أبيه! فأنا غلام رؤبة؛ فما الرؤبة، والرؤبة، والرؤبة، والرؤبة، والرؤبة؟ فلم يحر جواباً، وقام مغضباً"^(٣).

ومن الحرص على اكتساب المعارف اللغوية استعارة الكتب وحفظها في الزمن الوجيز، ومن ذلك ما حكاه أبو فيد مؤرّج السدوسي "كان أبو محلم أحفظ الناس. استعار مني جزءاً وردّه من الغد وقد حفظه في ليلة، وكان مقداره نحو خمسين ورقة"^(٤)، ولا نظن أن الاستعارة والحفظ ذينكما من شأن أعرابي من عموم أهل البادية.

٣ - مشاركة الأعرابي في بعض العلوم:

نجد لبعض الأعراب الرواة مشاركة في علوم أحر، وإن كان ذلك على قلة قليلة، لكن ما يهمنا أن مشاركة الأعرابي في علم لا يكون لأعرابي بالمعنى العام، وإنما يتأتى ذلك لمن يغادر ذلك الوصف ويلازم العلماء. والمجال الذي نجد فيه لأفراد من الأعراب الرواة مشاركة - القراءات القرآنية، ومن هؤلاء أبو سوار العنوي^(٥). "قال أبو عثمان [المازني] قرأت على أبي وأنا غلام (فترى الودق يخرج من خلاله)

١ - يُنظر: ابن جني، الخصائص: ٣/٣٠٥.

٢ - يُنظر: ابن منظور، لسان العرب: (ك م أ) ١/١٤٨.

٣ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ٥٢.

٤ - النديم، الفهرست: ٥٢.

٥ - تختلف المصادر اختلافاً في كنيته بين "أبي سوار" و"أبي سرار" أو "أبي السرار" (وللفرق اليسير بين الأخيرين سنعدّهما قولاً واحداً)، والذي نرجحه أنه بواو ثم راء، للأمور الآتية: أولاً: ورد كذلك في المصادر الأقدم، أي مصادر القرن الثالث، يُنظر: الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ١٩٨٠م، ط ١: ٥٦٠/٢، وابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ط ٢: ١/٥١٧. ثانياً: ورد كذلك عند الأعراف بأحوال هؤلاء الأعراب مثل: القفطي، إنباه الرواة: ٤/١٢٨. ثالثاً: أنه كذلك في أكثر المصادر بحسب استقراءنا. رابعاً: نص السيوطي على ضبط كنيته. قال: "بفتح السين وتشديد الواو"، السيوطي، بغية الوعاة: ١/٦٠٧.

[النور/٤٣]، فقال أبو سَوَّار - وكان فصيحاً - يخرج من خَلِّه، فقال أبي: (مِنْ خَلِّهِ) قراءة، فقال أبو سَوَّار: أما سمعتَ قولَ الشاعر:

ضَرَبْنَ بِغَمْرَةٍ فَخَرَجْنَ مِنْهَا خُرُوجَ الْوَدْقِ مِنْ خَلِّ السَّحَابِ

وقال أبو عثمان: (خَلَّلَ وَخَلَّلَ) واحد، هما مصدران^(١).

وروى المازني أيضاً "قال: سمعتُ أبا سَوَّارِ العَنَوِي، يقرأ: (فَحَاسُوا خَلَالَ الدِّيَارِ) [الإسراء/٥] فقلت: إنما هو جاسوا، فقال: حاسوا وجاسوا واحد. قَالَ وَسَمِعْتَهُ يَقْرَأُ: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَسَمَةً فَادَارَأْتُمْ فِيهَا) [البقرة/٧٢]، فقلت له: إنما هو نفس، قَالَ: النَسْمَةُ وَالنَفْسُ وَاحِدٌ"^(٢).

ولم يقتصر إيراد قراءات أبي سَوَّارِ على اللغويين وكتب الأدب، بل وردت قراءاته في بعض كتب التفسير، ومن ذلك قراءته "فحاسوا" بالمهملة^(٣)، بل نُقلت قراءة "فحاسوا" عن غيره^(٤)، ونقل مُفسرون أيضاً أنه في قوله تعالى: (وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) [البقرة/٤٨] قرأ "لَا تَجْزِي نَسْمَةٌ عَنْ نَسْمَةٍ"^(٥)، وفي قوله تعالى: (كَانَهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ) [المدثر/٥٠] نُقل في بعض كتب التفسير أنه "قال محمد بن سلام: سألتُ أبا سَوَّارِ العَنَوِي، وكان أعرابياً فصيحاً، فقلت: كأنهم حُمُرٌ ماذا؟ فقال: مستنفرة طردها قسورة (ففتح الفاء)؟ فقلت: إنما هو فَرَّتْ مِنْ قَسُورَةٍ، قال: أَفَرَّتْ؟ قلت: نعم، قال: فمستنفرة إذن (فكسر الفاء)"^(٦)، ونقل بعض أهل التفسير في قوله تعالى: (وَنَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رِيكًا) [الزخرف/٧٧] أنه "قرأ أبو سَوَّارِ العَنَوِي: يا مالُ، بالرفع"^(٧)، أي بالترخيم على لغة مَنْ لا ينتظر.

ومن الأعراب الذين نجد لهم مشاركة في القراءات شُبَيْل الضُّبَيْعِي، وقد أورد له ابن جني في المحتسب

١ - القفطي، إنباه الرواة: ١٢٨/٤، والقصة أيضاً في: النديم، الفهرست: ٦٧، وقد ورد البيت فيهما بتحريفات، والتصويب من: ابن منظور، لسان العرب: (ودق) ٣٧٣/١٠، والزبيدي، تاج العروس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٥م، (د.ط.): (ودق) ٤٥٢/٢٦.

٢ - القالي، الأمالي: ٨٨/٢، وقصة قراءة "نسمة" أيضاً في: السيوطي، المزهرة: ٣٢٣/١، وقد ورد في المصدرين "أبو سرار".

٣ - وروى أبو زيد الأنصاري عن أبي سَوَّارِ العَنَوِي أنه كان يقرأ: فحاسوا، بحاء غير معجمة، فقليل له: إنما هو فَجَاسُوا بالميم، فقال: وجاسوا وحاسوا واحد"، الزمخشري، الكشاف: ١٥١، وقد ورد في المصدر "أبو السرار".

٤ - نقلت عن ابن عباس. يُنظر: الثعلبي، الكشف والبيان، تحقيق: محمد بن عاشور، مراجعة: الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ط ١: ٨٥/٦، ونُقلت قراءة "فحاسوا" عن أبي السمال وطلحة، يُنظر: أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٠م، (د.ط.): ١٤/٧.

٥ - الزمخشري، الكشاف: ٧٥، وأبو حيان، البحر المحيط: ٣٠٨/١، وقد ورد في المصدرين "أبو السرار".

٦ - أبو حيان، البحر المحيط: ٣٣٩/١٠، وقد ورد في المصدر "أبو سرار"، والثعلبي، الكشف والبيان: ٧٨/١٠، وقد ورد في المصدر "أبو سرار".

٧ - الزمخشري، الكشاف: ٩٩٦، وأبو حيان، البحر المحيط: ٣٨٩/٩، وقد ورد في المصدرين "أبو السرار".

قراءات مع غيره؛ مثل قوله: "ومن ذلك قراءة ابن عباس وابن عمر -بخلاف- وعكرمة ومجاهد -بخلاف عنهما- والضحاك وأبي رجاء وقتادة وشبيل بن عزرة الضبعي وربيعه بن عمرو وزيد بن علي: (وَأدَّكَرَ بَعْدَ أَمَةٍ) [يوسف/٤٥]^(١)، وقوله: "ومن ذلك قراءة عثمان وزيد بن ثابت وابن عباس وسعيد بن العاص وابن يعمر وسعيد بن جبير وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وشبيل بن عزرة (خَصَّتِ الْمَوَالِي) [مريم/٥]، بفتح الحاء، والتاء مكسورة"^(٢)، وأورد له منفرداً؛ مثل قوله: "ومن ذلك قراءة شبيل بن عزرة (فَأَجَّأَهَا) [مريم/٢٣] مثل (فَأَجَّأَهَا)"^(٣). وللضبي مشاركة في مجال آخر غير القراءات. قال النديم في ترجمته: "من خطباء الخوارج وعلمائهم"^(٤)، ولا يتحقق لأعرابي أن يكون عالماً لفرقة وخطيباً، إلا إذا أخذ عن العلماء في باب العقائد، وذلك مجال آخر نال منه الأعراب.

ومن الأعراب الرواة الذين ذُكروا في القراءات الأعرابي المشهور والرجاز المعروف رؤبة بن العجاج. قال ابن جني: "ومن ذلك قراءة رؤبة: "مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ" [البقرة/٢٦] بالرفع. قال ابن مجاهد: حكاه أبو حاتم عن أبي عبيدة عن رؤبة"^(٥). وفي قوله تعالى: (فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) [الرعد/١٧] قرأ رؤبة "جفالا"، فعن أبي زيد أنه "قال سمعت رؤبة قرأ: فأما الزبد فيذهب جفالا. قال قلت: جفاء. قال: لا، إنما تجفله الريح، أي تقلعه"^(٦)، وقد ذُكرت قراءة رؤبة في التفاسير. قال الزمخشري: "وفي قراءة رؤبة بن العجاج: جفالا. وعن أبي حاتم: لا يقرأ بقراءة رؤبة، لأنه كان يأكل الفأر"^(٧)، وقال البيضاوي في تفسيره عن هذه الآية: "وقرئ جفالا والمعنى واحد"^(٨).

ومرّبنا في الكلام على التأليف عند الأعراب أن أحد كتب أبي عدنان الأعرابي كان في غريب الحديث النبوي. قال النديم يصفه: "وترجمته ما جاء من الحديث المأثور عن النبي مُفسراً، وعلى أثره ما فسر العلماء من السلف"^(٩)، فهو يتناول -كما نرى- الأحاديث التي رويت مفسرة، ولا يُقدم على مثل هذا التأليف إلا مطلع على رواية الحديث، وذلك مجال علمي آخر نال الأعراب شيئاً منه.

١ - ابن جني، المحتسب، تحقيق: ناصف، النجار، شلبي، لجنة إحياء كتب السنة، القاهرة، ١٩٩٩م، ط ٢: ٣٤٤/١.

٢ - السابق: ٣٧/٢، في الأصل "بفتح الحاء" وهو خطأ.

٣ - السابق: ٣٩/٢.

٤ - النديم، الفهرست: ٥١.

٥ - ابن جني، المحتسب: ٦٤/١.

٦ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٦٣.

٧ - الزمخشري، الكشاف: ٥٣٨.

٨ - البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (د.ت)، ط ١: ١٨٥/٣.

٩ - يُنظر: النديم، الفهرست: ٥١.

٤ - النص على المذهب النحوي للأعرابي:

نجد في الأعراب الرواة من يُنصّ على مذهبه النحوي، وذلك مثل قول النديم في أبي مالك عمرو بن كركرة: "وكان بصريّ المذهب"^(١)، وقوله في أبي عدنان: "بصري"^(٢)، والنص على مذهب الأعرابي دليل لا يشوبه شكّ على أن معرفة ذلك الأعرابي لم تقتصر على السليقة، بل هي معرفة واعية قد ترقّت حتى بلغت مرتبة الاختيار من بين أقوال أهل العلم، فلا تتحقق بصريّة ناظر في اللغة إلا بتمييز منه لمذهب البصريين من مذهب الكوفيين، وذلك لا يكون إلا لمن تعلم اللغة والنحو إلى سليقته.

٥ - النص على كون الأعرابي عالماً:

ومن ذلك قول صاحب "الفهرست" في أبي عدنان: "عالم باللغة"^(٣)، وقوله في جهم بن خلف المازني: "عالم بالغريب والشعر"^(٤)، وقوله في أبي مُحلمّ الشيباني: "أعلم الناس بالشعر واللغة"^(٥)، وقوله في أبي دعامة القيسي "علامة"^(٦) بصيغة المبالغة وتائها، ولا ننس هنا أن النديم أورد عنواناً في فصله "ومن خطوط العلماء"^(٧)، فوصف أولئك الأعراب بالعلماء. إن وصف الأعرابي بكونه عالماً باللغة أو بالغريب أو بالشعر أو بكونه أعلم الناس باللغة لا يكون إلا لمن كان مثقفاً سليقته مفارقاً لأحوال أعراب البادية.

ومع أننا نرى أن الطابع العام للأعراب الرواة هو الممارسة العلمية، نذكر أنهم لم يتساووا في ذلك، بل كان قلة منهم في أعلى درجات العلم ومنافسا للعلماء المعروفين، فقد مُدح ابن كركرة بسعة العلم حتى فضّل على الأصمعي والخليل، قال السيرافي: "ويقال إن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان الخليل يحفظ نصف اللغة، وكان أبو مالك عمرو بن كركرة يحفظ اللغة كلها"^(٨)، ومن ذلك أن اللحياني كان يتهيبه الفراء، فقد روي أنه "كان الفراء إذا أملّ كتابه في النّوادر ودخل اللّحيانيّ أمسك عن الإملاء حتى يخرج، فإذا خرج قال: هذا أحفظ النّاس للنّوادر"^(٩)، ومن أولئك أبو مسحلّ الذي بقي

١ - السابق: ٤٩.

٢ - السابق: ٥١.

٣ - السابق: ٥١.

٤ - السابق: ٥٢.

٥ - السابق: ٥١.

٦ - السابق: ٥٣.

٧ - يُنظر: السابق: ٥٣.

٨ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٤٢، وللخير هذا روايات متأخرة زمنياً تختلف في الأسماء الأولى ومقدار حفظها، وتتفق في شأن أبي مالك وحفظه اللغة كلها. يُنظر: السيوطي، المزهري، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ط ١: ٣٤٤-٣٤٥، يُنظر: السيوطي، بغية الوعاة: ١/٥٨٣.

٩ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ١٩٥.

كتابهُ الكبير "النوادر" دالاً على علمه (تقدّم في الكلام على التأليف عند الأعراب الرواة)، والذي كان يناظر الأصمعي في التصريف ويغلبه (تقدّم في الكلام على مناظرة الأعرابي للعلماء)، ومن ذلك أن النديم ذكر في الأعراب مؤرّجاً السدوسي^(١)، وهو من العلماء المعروفين، ومما يدل على أعرابيته أيضاً قول القفطي: "ذكر مؤرّج أنه قدم من البادية، ولا معرفة له بالقياس في العربية. إنما كانت معرفته بالعربية قريحة. قال: أول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة"^(٢).

الأمر الخامس: أخبار الأعراب الرواة مع النحاة

وردت أخبار مختلفة في مصادر متنوعة وكان هؤلاء الأعراب الرواة أبطالها، وفي تلك الأخبار ما يؤيد أن هؤلاء الأعراب الرواة كانوا على إدراك لمصطلحات النحاة ومقاصدهم، وأنه كان لدى بعضهم ما يزيد على رواية اللغة، ونحن نورد أمثال تلك الأخبار مؤكّدين أنه لا يلزم من ذلك التسليم المطلق بكل ما يُقصد في هذا السياق، وقد نميل أحياناً إلى صحة أصل الخبر، غير أن ذلك الأصل الصحيح لا يمنع من تزييد في بعض تفاصيله جاء في سياق المسامرات والاستطراف؛ وفيما يأتي بيان ذلك:

١- روي أن أبا عمرو بن العلاء سئل "عن اشتقاق الخيل، فلم يعرف، فمرّ أعرابيٌّ مُحرمٌ، فأراد السائل سؤال الأعرابي، فقال له أبو عمرو: دعني، فأنا أطف بسؤاله وأعرف. فسأله، فقال الأعرابي: اشتقاق الاسم من فعل المسمى. فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي، فسألوا أبا عمرو عن ذلك، فقال: ذهب إلى الخيلاء التي في الخيل والعجب؛ ألا تراها تمشي العرضنة خيلاءً وتكبراً؟"^(٣)، وثمة أمران: أحدهما أنه يستحيل صدور تلك الإجابة المتقنة في إيجازها والمدججة بالمصطلحات عن أعرابي من عوامّ أعراب البادية، وإنما هي إجابة يدلّ مستواها المعجمي على معرفة بمقدار من اصطلاحات النحاة، ويدلّ مستواها التركيبي على إحكام وإيجاز يمتنع صدوره من أعرابي من عامّتهم غير مثقف، والآخر أن مسألة تعليل التسمية نفسها لا تصدر إلا عمّن يفهم مذهب تعليل التسمية، وذلك لا يكون لأعرابي على السليقة وحدها، وقد يقال: إن في القصة شيئاً يستوقف، وهو قول أبي عمرو: "أنا أطف بسؤاله وأعرف"، فكيف يكون الأعرابي بتلك المعرفة اللغوية ويحتاج إلى تلطيف السؤال ليفهمه؟ والظاهر أن المقصود بذلك تلطيف المعاملة؛ إذ كان كثير من الأعراب متسخّطاً غليظ الطبع (سيأتي الكلام عن ذلك).

وقد رويت القصة السالفة مُختصرة. "قال رجل لأبي عمرو لم سُميت الخيل خيلاً وإنما هي الدواب؟ فلم يكن عنده جواب، فقال أعرابي حضرهم: سُميت خيلاً لا ختيالها"^(٤)، ولعلها في ذلك الاختصار أبعده

١ - النديم، الفهرست: ٥٣.

٢ - القفطي، إنباه الرواة: ٣/٣٢٨.

٣ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ٣٥-٣٦.

٤ - الليغموري، نور القبس: ٣٦.

عن طابع الاستطراف والمسامرة، ومع ذلك يظلّ فيها شاهد لما نحن فيه من ذكر أمثلة للمعرفة الزائدة على السليقة عند بعض الأعراب، وهو تعليل التسمية هنا، بل فيها أن من التعليقات ما يخفى على نحوي ويدركه أعرابي من الرواة.

٢- روى أبو علي القالي بإسناده "عن أبي عمرو بن العلاء قال: لقيت أعرابياً بمكة، فقلت له: ممن أنت؟ قال أسدي. قلت: ومن أيهم؟ قال: نهدي. قلت: من أي البلاد؟ قال: من عُمان، قلت: فأنتي لك هذه الفصاحة؟ قال: إنا سكناً قطراً لا نسمع فيه ناجحة التيار، قلت: صف لي أرضك! قال: سيفاً أفيح، وفضاء صحصح، وجبل صردح، ورمل أصبح. قلت: فما مالك؟ قال: النخل. قلت: فأين أنت عن الإبل؟ قال: إن النخل حملها غذاء، وسعفها ضياء، وجدعها بناء، وكربها صلاء، وليفها رشاء، وخوصها وعاء، وقروها إناء"^(١). شيء يستوقف في القصة، وهي أن يكون الأعرابي نفسه عارفاً بالعامل الجغرافي ولوازمه الاجتماعية المؤدية إلى فصاحة قومه، ولا يكون مثل ذلك بالعادة للأعرابي المغوم، وإنما يكون إدراك ذلك لأعرابي مثقف عارف بكثير من مذهب النحاة في الفصاحة وأسبابها.

٣- "قال الخليل بن أحمد: أنشدني أعرابي:

وإن كلاباً هذه عشر أبطنٍ وأنت بريء من قبائلها العشرِ

فجعلتُ أعجبُ من قوله: (عشر أبطن) حين أنثُ لأنه عنى القبيلة، فلما رأى عَجَبِي من ذلك، قال: أليس هكذا قول الآخر:

فكان مجتني دون من كنت أتقي ثلاث شُخُوصٍ كاعبانٍ ومُعَصِرٍ"^(٢)

وهذا أعرابي آخر يُنشد بيتاً أمام ناح، فلما رأى الأعرابي صاحبه يتعجب من شيء في شعره، فهم ما استشكله النحوي، وأورد لكلامه نظيراً وشاهداً من شعر أحد المحتج بهم: عمر بن أبي ربيعة، ولا شك أنّ فهم الاستشكال واستحضار الشاهد موقف لا يحدث لواحد من عامة أعراب البادية.

٤- حكى ابن جني قائلاً: "وسألتُ غلاماً من آل المهيا فصيحاً عن لفظٍ من كلامه لا يحضرني الآن ذكره، فقلت: أكذا أم كذا؟ فقال: "كذا بالنصب، لأنه أخف"، فجنح إلى الخفة، وعجبتُ من هذا مع ذكره النصب بهذا اللفظ، وأظنه استعمل هذه اللفظة لأنها مذكورة عندهم في الإنشاد الذي يُقال له (النصب) مما يتعنى به الركبان"^(٣).

إن استشكال أبي الفتح - فيما يبدو - قد وقع لخفاء حقيقة الأعراب الرواة عليه وتثقفهم، ولا يعزب

١ - القالي، ذيل الأمالي والنوادر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٦٧م، (د.ط): ١٩.

٢ - ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق: منذر أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت-عمان، ٢٠٠٨م، ط ١: ١٨١ / ٢.

٣ - ابن جني، الخصائص: ٧٨/١.

عنا أن ابن جني متأخر عن حركة السماع الأساسية من الأعراب التي كانت من منتصف القرن الثاني تقريباً إلى ما بعد منتصف القرن الثالث تقريباً، وهي الحركة التي وجدنا أصداءها في أقدم المؤلفات اللغوية على أنواعها، والغريب أن يستشكل صاحب الخصائص -وهو هو- ورود مصطلح "ال نصب" في كلام غلام من الأعراب، ويفوت ما كان بالاستشكال أحرى. ذلك أن عبارة الغلام الفصيح "كذا بالنصب لأنه أخف". أما "النصب" فمن أساسيات المصطلح النحوي، وقد يُكتسب بأدنى مجالسة للنحاة، وأما قوله: "لأنه أخف" فتجاوز لقضية مصطلحية إلى إدراك "التعليل النحوي" المرتبط بفلسفة النحو، وكان هذا أجدى بالاستشكال. إن جواب الغلام ليس كلمة شاردة بل حكم نحوي مقرون بعلمته، وإذا أدركنا ذلك فإن تخريج ابن جني بأن الغلام في استعماله مصطلح "النصب" استعار كلمة من استعمال لغوي في تغني الركبان فمائل استعماله بصدفة خالصة استعمال النحاة -لا يعود له معنى، ونحن نرى أن استعماله "النصب" لم يكن من وقع حافر الكلام المعتاد على حافر مصطلحات النحاة، بل كان جواب الغلام رمياً من رام. ذلك أن شأن غلام آل المهيا كشأن كثير من الأعراب في التحصيل عند النحاة وإدراك شيء -قلّ أو كثر- من الصناعة النحوية ولغة النحاة.

ولا يُشكل على ما سبق بأن المذكور في القصة "غلام"، وكيف يمكن صدور مثل ذلك عن غلام؟ وجواب ذلك في أمرين؛ الأول: أن كلمة "الغلام" في العربية متسعة، فتطلق على غير الصغير بل على الشيخ، ومنه ما جاء في شعر ليلى الأخيلية في مدحها الحجاج "غلام إذا هزّ القناة سقاها"^(١)، ومنه ما جاء في رجز علي بن أبي طالب يوم النهروان وهو يومها في ستين سنة "أنا الغلام القرشي المؤتمن"^(٢)، الثاني: أنه قد جاء في قصة أخرى نسبة المعرفة اللغوية لغلام، ومن ذلك أن المفضل والأصمعي اختلفا في شيء من الشعر وارتفع صوت الأول فاحتكما إلى غلام أسدي حافظ للشعر. جاء في تلك القصة "... فقال

^١ - قالت ليلى الأخيلية في الحجاج:

إذا هبّط الحجاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هزّ القناة سقاها

ديوان ليلى الأخيلية، دار صادر، بيروت، تحقيق وشرح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ط ٢: ٨٨-٨٩.

^٢ - وقال علي بن أبي طالب يوم النهروان وهو في الستين من عمره:

أنا الغلام القرشي المؤتمن الماجد الأبلج ليث كالشطن
يرضى به السادة من أهل اليمن من ساكني نجد ومن أهل عدن
أبو الحسنيين فاعلمن والحسن قد جاك يقتاد الجنان والرسن

ديوان علي بن أبي طالب، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ١٩٨٨م، ط ١: ٢٠٠، وفي الأصل "تقتاد" بالتاء، وهي تصحيف، وينظر: الشوكاني، نيل الأوطار، تحقيق: الصباطي، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٣م، ط ١: ٦٧/١، وقد ذكر الشوكاني في ذلك السياق جواز إطلاق الغلام على من دخل سنّ الشيخوخة، واستدل بأبيات ليلى الأخيلية ورجز علي بن أبي طالب، وذكر أن ذلك كان يوم النهروان وهو ابن ستين.

سليمان الهاشمي: اختارا من نجعله بينكما. فاتفقا على غلام من بني أسد حافظ للشعر، فبعث سليمان إليه من أحضره، فعرضاً عليه ما اختلفا فيه، فصدّق الأصمعي وصدّق قوله^(١).

٥- جاء أن "أبا عمرو قال: سمعتُ رجلاً من اليمن يقول: فلان لغوب جاءتة كتابي فاحتقرها. فقلتُ له: أتقول جاءتة كتابي؟! قال: نعم؛ أليسَ بصحيفة"^(٢). إن الرجل الذي استنكر قوله ابنُ العلاء لو كان من عوامِّ أعراب اليمن لما أدرك مراده "أقول: جاءتة كتابي؟!"، ونلاحظ في جواب اليماني المبهم أموراً؛ أولاً: فهم استشكال النحوي، ثانياً: انتقل إلى مرحلة الجواب، ثالثاً: أصاب في جوابه معتمداً على منطق "التعليل النحوي"، فذكر أن في كلامه معاملة الاسم بعود الضمير إليه بلحظ المعنى لا بظاهر اللفظ، وتلك علة صحيحة عند النحاة مقبولة^(٣).

٦- ذكر أبو عبيدة في قول رؤبة:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوَادٍ وَبَلَقٌ كَأَنَّهُ فِي الْجِلْدِ تَوَلَّيْعُ الْبَهَقِ

ذكر أبو عبيدة أنه قال لرؤبة: "إن كانت خطوط فقل كأنها، وإن كان سواد وبلق فقل: كأنهما، فقال: كأن ذاك -ويلك- توليع البهق"^(٤)، ويحكي ابن جني ذلك بشيء من التوضيح، فيقول: "إن كنت أردت الخطوط فقل: كأنها، وإن كنت أردت السواد والبلق فقل: كأنهما، فقال رؤبة: أردت كأن ذاك. ويلك"^(٥)، ونحن نجد رؤبة يفهم استشكال أبي عبيدة في عود الضمير، ويجد له مخرجاً صحيحاً يجعل الضمير المذكور على معنى اسم الإشارة (ذلك)، واسم الإشارة المفرد يجوز أن يكون عائداً على المجموع.

٧- روي أن يونس قال: "قال لي رؤبة بن العجاج: حتامَ تسألني عن هذه البواطيل وأزخرفها لك. أما ترى الشيب قد بلع في لحيتك"^(٦). إن أخذ الخبر على ظاهره مشكل غاية الإشكال؛ إذ يجعل الأمر بطواطيل

١- الأزهري، تهذيب اللغة: ١/١، والقفطي، إنباه الرواة: ٣/٣٠٣.

٢- ابن جني، الخصائص: ١/٢٤٩. ولا يشكل على القصة بأنها لا تنص على أن صاحبها أعرابي بل "رجل من اليمن"، فقد أورد ابن جني القصة في سياق أن التعليل وارد عن العرب أنفسهم "باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها"، وقد أصاب ابن جني؛ إذ يلزم أن يكون المعلل أعرابياً ولو لم يصرح به في القصة، فابن العلاء في زمن الاحتجاج وممن لقي أولئك الأعراب، ومثل هذه المعرفة اللغوية المقرونة بالتعليل آنذاك تكون إما لنحوي وإما لأعرابي، ولو كان نحويًا لما صار لما يرويه ابن العلاء معنى، فوجب أن يكون من نوع آخر من أصحاب المعرفة اللغوية، أي الأعراب الرواة.

٣- لأنموذجات من التعليل بمراعاة المعنى يُنظر مثلاً: ابن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (د.ط): ٨٤-٨٥.

٤- أبو عبيدة، مجاز القرآن: ١/٤٤.

٥- ابن جني، المحتسب: ٢/١٥٤.

٦- السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٢٩.

مُزخرفة بين ناحٍ وأعرابي، ففي القصة أن أسئلة النحوي بواطيل وأجوبة الأعرابي زخرفة، وقد جاء ذلك على لسان الأعرابي، غير أن معرفة حال الأعراب وتثقيفهم يتيح تأويلاً صحيحاً لكلامه بعيداً عن مسألة الاختلاق. ذلك أننا إذا عرفنا أن الأعراب الرواة نحاة من درجة ما، فإن المعرفة النحوية المكتسبة أتاحت لهم ما هو أكثر من حيز رواية اللغة. حملتهم تلك المعرفة المتحصلة على شيء من الدراية إلى جانب الرواية، أي الاجتهاد كما يجتهد النحوي، فارتقوا من رواية اللغة إلى تعليلها على الطريقة التي رأوها في ممارسة النحاة، وذلك التعليل هو تخريج مزخرف لكلام العرب على الأصول النحوية. وقد مرت بنا أمثلة من التعليل عند الأعراب، ومن ذلك تعليل غلام آل المهيا بعلة الخفة في النصب، وتعليل الرجل اليماني في عود ضمير المؤنث على المذكور بلحظ معناه، وتعليل تسمية الخيل عند الأعرابي المحرم.

وفي ختام الحديث عن هذه الأخبار للأعراب نذكر أن تناولها هنا له وجهان؛ أحدهما: أن فيها ما يعضد الأدلة المتنوعة الدالة على أن الأعراب الرواة كانوا أصحاب تعلم، والآخر: أن معرفة ظاهرة التعلم والتثقف عند الرواة من الأعراب ينفي عن هذه الأخبار النكارة لما فيها من سلوك علمي لدى أولئك الأعراب عند من لا يعرف حالهم.

الأمر السادس: التفريق بين الأعراب الرواة وعموم الأعراب

فشا فشواً كثيراً في كلام النحاة وغيرهم إرداف الأعراب الرواة بوصف "الفصاحة"، فمن ذلك ما ورد في قصة الخلاف بين أبي زيد الأنصاري ويونس؛ أيقال: "تعاهدتُ ضيعتي أو تعهدتُ"، وفيها قال أبو زيد: "وكان عنده ستة من الأعراب الفصحاء فقلت: سل هؤلاء"^(١)، ومنه ما ورد في المسألة الزنبورية "فقال يحيى بن خالد: من يحكم بين هؤلاء؟ فتراضوا بالأعراب، فأحضر من فصحاءهم من قدم على باب السلطان، وهم أبو فقّس وأبو دَماذ وأبو الجَراح وأبو ثَروان"^(٢)، ومن ذلك ما روي في المجلس الذي جمع فيه المهدي بين اليزيدي والكسائي واختلافهم كيف يُقال: "إن من خير القوم أو خيرهم بته زيدا أو زيدا"، وقد جاء في القصة قول المهدي: "قد اختلفتما وأنتما عالمان؛ فمن يفصلُ بينكما؟ قلت لأي اليزيدي: فصحاء الأعراب المطبوعون"^(٣)، ومن ذلك ما نُقل عن أبي حاتم أنه قال: "إذا فسرتُ حروف القرآن المختلف فيها، وحكيتُ عن العرب شيئاً، فإنما أحكيه عن الثقات منهم؛ مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم"^(٤)، ومن ذلك ما نُقل عن الضراء "...إلا أن تسمع شيئاً من بدوي

١ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٤٣.

٢ - القفطي، إنباه الرواة: ٣٤٨/٢.

٣ - الزجاجي، مجالس العلماء: ٢٢١-٢٢٢.

٤ - السيوطي، المزهر: ٣٥١/٢.

فصيح فتقوله^(١)، ومن ذلك ما ذكر في أبي عمرو بن العلاء "وكانت كتبُه التي كتَبَ عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف"^(٢)، والمقصود بهم الأعراب الرواة، وقد شاع في تراجم العلماء وصف الأعراب الذين أخذوا عنهم بالفصاحة، نحو النضر بن شميل "أخذ عن الخليل وفصحاء الأعراب"^(٣)، والأخرم "روى عن جماعة من العلماء وعن فصحاء الأعراب"^(٤)، وابن الأعرابي "روى عن جماعة من فصحاء الأعراب"^(٥)، وابن السكيت "وقد لقي فصحاء الأعراب وأخذ عنهم"^(٦)، وثابت بن أبي ثابت "لقي فصحاء الأعراب وأخذ عنهم"^(٧)، وابن أبي أوليس "لقي فصحاء الأعراب"^(٨)، ولا ننسَ في الأخير أن الفصل الذي عقده النديم للأعراب الرواة بعنوان "أسماء فصحاء العرب المشهورين..."^(٩)، فوصفهم بالفصاحة أيضا.

إن الأصل في كلمة "الأعراب" في زمن السماع أنها حجة بنفسها، فلماذا اقترنت بوصف "الفصاحة" في كل النصوص السابقة؟ يتراءى لنا في الجواب أن ذلك يردُّ بغية التفريق بين الأعراب الرواة (ذوي السليقة المثقفة) والأعراب المغمورين المبهمين (ذوي السليقة ليس غير)؛ فإذا سألنا عن سبب شيوع وصف النوع الأول بالفصاحة، فجوابه -فيما نرى- أن النوع الثاني لا يمثل إلا لهجته المخصوصة، أما النوع الأول فقد جالسَ النحاة وعرف أن مناط التثقيف عندهم هو المشترك الشائع من لهجات العرب^(١٠)، فصقلَ سليقته وتزوَّد من المعارف ما يسير بذلك الاتجاه^(١١).

- ١ - يُنظر: ابن جني، الخصائص: ٩/٢، وقد نقل ذلك ابنُ جني في سياق كلامه على التفريق بين الرواية عن البدو والحضر في "باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر"، ولم أقف عليه فيما بلغنا من كتب الفراء نفسه.
- ٢ - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ط٧: ١/٣٢١.
- ٣ - النديم، الفهرست: ٥٧.
- ٤ - السابق: ٦٢.
- ٥ - السابق: ٧٦.
- ٦ - السابق: ٧٩.
- ٧ - السابق: ٧٦.
- ٨ - السابق: ١٢٠.
- ٩ - السابق: ٤٩.

١٠ - في سياق اختلاف لهجات العرب نصَّ النحاة الأوائل على "العمل بالكثير وترك القليل"، ومن ذلك قول أبي عمرو بن العلاء حين سئل عن عمله مع اختلاف العرب وهم حجة - قوله: "أعملُ على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات"، يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ٣٩، ومنه قول ابن أبي إسحاق لمن سأله: من يقول من العرب "الصويق" أي الصويق - قوله: "وما تريد إلى هذا؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس"، يُنظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ٣٢، والمطرود هو الكثير.

١١ - والمسألة هنا ترتبط بمفهوم "الفصاحة" والكلام على أصل ما سُمي "العربية الفصحى"، وهي مسألة إشكالية متجاذبة الأدلة، ولا يمكن تناولها هنا إلا بإيجاز، فنقول: في المسألة خلاف، وقد جمع الأقوال وعرض الخلاف غير واحد من المعاصرين.

بعد كل تلك الدلائل والقرائن المتنوعة لا نظن أنه يصح أن يقال في كل واحد من الأعراب الرواة: إنه ليس سوى "سليقيّ يقول فيُعرب"، بل كل ما مضى يجعلنا نعتقد اعتقاداً جازماً أن كثيراً من الرواة الأعراب "علماء من درجة ما، سواء أكانوا لغويين أم كانوا نحاة".

ثالثاً: الصورة المتخيلة عن أعراب الرواية اللغوية ودفعها

نتناول في هذا الجزء من البحث ما أشير إليه في المقدمة، وهي الصورة المتخيلة عن أعراب الرواية اللغوية، أي الصورة التي عمّمت على أعراب اللغة الوصف العام لأعراب البادية، وجعلت الأعراب المأخوذة عنهم علوم اللغة نوعاً واحداً، وعلى هذا الأساس أطلقت أحكاماً في حق أعراب اللغة، لا تصح في حق "الأعراب الرواة" وإن كانت تصح في حق "الأعراب المغمورين"، وعليه أيضاً استنكر ما يتعلّق بالممارسات العلمية عند الأعراب الرواة.

ممن تطرّق إلى الكلام على هؤلاء الأعراب الجاحظ في حديث له عن الفصاحة، وفي ذلك التطرّق لا يبدو الجاحظ مُحققاً لأحوال هؤلاء الأعراب، قال يصفهم: "وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا: مكره أخاك لا بطل. وإذا عزّ أخاك فهن. ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم: ذهب إلى أبو زيد، ورأيت أبي عمرو؛ لأن ذلك يدلّ على طول إقامته في الدار التي تُفسد اللغة وتنقص البيان؛ لأن تلك اللغة إنما انقادت واستوت، واطردت وتكاملت، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة وفي تلك الجزيرة"^(١).

نتوقف أولاً مع الجزء الأخير من كلامه "... لأن ذلك يدلّ على طول إقامته في الدار التي تُفسد اللغة وتُنقص البيان"، ولنا الاختلاف هنا مع الإمام أبي عثمان الجاحظ وأن نذهب إلى أنه قال ما قال تخيلاً لا استناداً على الواقع، وأن لديه صورة غير مطابقة لواقع الأعراب الرواة؛ فهذا أبو البيداء ينزل البصرة ويُقيم بها عمره مأخوذاً عنه العلم^(٢)، وهذا أبو زياد الكلّابي يأتي بغداد ويُقيم بها أربعين سنة حتى

يُنظر مثلاً: قدور، فقه اللغة، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م، ط٣: ١١٦ وما بعدها، وأهم الأقوال ثلاثة: أنها لهجة قريش، أنها مستوى أدبي مشترك، أنها تركّبت من اللهجات العربية الأساسية، والأخير هو الأقرب. وفي ظل هذا التصوّر نعود إلى مسألة "الوصف بالفصاحة" فنقول: إن وصف الرواة الأعراب بالفصاحة لأنهم ثقفوا من سليقتهم نحو الكثير الشائع في كلام العرب، وإن وصف قبائل أو أماكن بالفصاحة لأنها كانت أقرب من غيرها تمثيلاً للكثير المشترك من اللهجات الأساسية أو لأنها كانت من اللهجات الأساسية، ووصف أعرابي مُبهم بالفصاحة لأنه ينتمي إلى هذه القبائل، وهذا الأخير غير شائع، ومثال من ذلك يُنظر مثلاً: الفراء، معاني القرآن: ٧٦/١، والسابق: ١٣١/٢.

١ - الجاحظ، البيان والتبيين: ١/١٦٢-١٦٣.

٢ - "أبو البيداء ... أعرابي نزل البصرة وكان يعلم الصبيان بأجرة أقام بها أيام عمره يؤخذ عنه العلم"، النديم، الفهرست:

موته^(١)، وهذا ابن أبي صبح ينزل بغداد ويموت بها، ويأخذ عنه العلماء خلال ذلك^(٢)، وهذا أبو دعامة القيسي يُطيل المقام بالحضر^(٣)، وهؤلاء الأعراب نص النديم على أنهم إمّا ظلوا بالحواضر حتى الممات، وإمّا أطالوا المقام بها. وقد وصف ربيعة البصري بأنه بدوي تحضر^(٤)، ومثل هذا الوصف يقتضي - في الأقل - أنه أقام بالحاضرة مدة غير قليلة. وذكر عن أعراب أنهم نزلوا الحاضرة. قال في الحرّمازي: "أعرابي بدوي رواية قدم البصرة ونزلها"^(٥)، وقال في أبي السمح: "أعرابي بدوي نزل الحيرة"^(٦)، ووصف فلان بأنه نزل الحاضرة الفلانية يقتضي - فيما نرى - أنه سكنها مدة. وإذا كان هؤلاء الأعراب نزلوا حواضر عربية فزي أخبار أعراب آخرين أنهم نزلوا حواضر العجم، ومن ذلك ما قد تقدّم من أن عبد الله بن طاهر استقدم جماعة من الأعراب إلى نيسابور: وهم عرام وأبو العميئل وأبو العيسجور وأبو العجّس وعوسجة وأبو العذافر وغيرهم، لتأديب أولاد قواده^(٧)، وهؤلاء الأعراب - ومن تقدّم أيضا - فصحاء حجج، ولكثير منهم مؤلفات، ولا نعلم أحدا طعن فيهم أو ردّ مؤلفاتهم. وإذا كان كثير من هؤلاء الأعراب قد سكن في الحواضر لمُدّ طويلة، بل جاء في تراجم بعضهم أنهم تحضروا، فإن وصفهم بأنهم "أعراب" إنما يكون باعتبار أصل حالتهم، أو باعتبار سليقتهم المحتج بها، وهي مناط الاحتجاج بالأعرابي صاحب البادية.

ونعود الآن إلى الجزء الأول من كلام الجاحظ وذكره أن النحاة متى رأوا أعرابيا يفهم "ذهبت إلى أبو زيد، ورأيت أبي عمرو" ونحوها بهرجوه ولم يسمعوا منه، فنقول: لا نعرف في أخبار الأعراب الرواة ما يدل على مثل هذا الحكم، وفي الوقت نفسه نستبعد أن يقيم الأعرابي بالحاضرة مدة طويلة ولا يمكنه أن يفهم المقصود من "رأيت أبي عمرو" وإدراك معناها وأنها جاءت على وجه ملحون.

ومما ذكره الجاحظ: "سمعت ابن بشير وقال له أبو الفضل العنبري: إني عثرت البارحة بكتاب، وقد التقطته، وهو عندي، وقد ذكروا أن فيه شعرا، فإن أردته وهبته لك. قال ابن بشير: أريده إن كان مقيدا. قال: والله ما أدري أمقيد هو أم مغلول. ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته"^(٨). يرى الجاحظ أن أبا

١ - "أبو زياد الكلابي: واسمه يزيد بن عبد الله بن الحرّ أعرابي بدوي. قال دعبل: قدم بغداد أيام المهدي حين أصابت الناس المجاعة، ونزل قطيمة العباس بن محمد، فأقام بها أربعين سنة، وبها مات"، السابق: ٥٠.

٢ - "ابن أبي صبح: عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المازني أعرابي بدوي نزل بغداد وبها مات كان شاعرا فصيحاً أخذ عنه العلماء"، السابق: ٥٥.

٣ - "أبو دعامة القيسي علامة رواية، وأصله من البادية. أطال المقام بالحضر وانقطع إلى البرامكة"، السابق: ٥٣.

٤ - "ربيعة البصري: بدوي تحضر وكان شاعرا راوية، وله من الكتب كتاب: ما قيل في الحيات من الشعر والرجز، كتاب حنين الإبل إلى الأوطان"، السابق: ٥٥.

٥ - النديم، الفهرست: ٥٤.

٦ - النديم، الفهرست: ٥٠.

٧ - يُنظر: ياقوت، معجم الأدباء: ٢٥٤/١، ويُنظر: الصفي، الواقي بالوفيات: ٢٢٨/٦.

٨ - الجاحظ، البيان والتبيين: ١٤٩/١.

الفضل لو عرف التقييد لما التفت إلى روايته أحد، غير أنه قد استفاض في أخبار الأعراب الرواة الحجج أنهم أصحاب ممارسات علمية وأن فيهم وراقين وأصحاب مؤلفات، فكيف يخفى على أحدهم معنى "الكتاب المقيد"؟! ونرى أن العنبري أبا الفضل إما أن يكون من عموم الأعراب فيكون صادقا في عدم معرفته "التقييد"، وإما أن يكون من الأعراب الرواة، وفعل ذلك مزاحا أو تظاهرا بأحوال أعراب البادية (سيأتي كلام مفصل على هذه الظاهرة وبيان أمثلتها عند الكلام على سبب وجود الصورة المتخيلة عن أعراب اللغة).

وابن جني على منوال الجاحظ يحكي قصصا للأعراب مع أبي الحسن الأخفش أو معه، وهي قصص تدل على أنهم أصحاب جفاء وعدم معرفة بمصطلحات النحاة، وقد تقدم معنا أن استشكال ابن جني لمصطلح "ال نصب" في كلام غلام آل المهيا وتجاوزه عن تعليقه، وأن ذلك يدل على خفاء حال الأعراب الرواة عليه. قال صاحب الخصائص: "فمن ذلك ما حكاه أبو الحسن: أنه سأل أعرابياً عن تحقير الحباري فقال: حُبْرُور. وهذا جواب من قصد الغرض ولم يحفل باللفظ؛ إذ لم يفهم غرض أبي الحسن، فجاء بالحُبْرُور لأنه فرخ الحباري. وذلك أن هذا الأعرابي تلقى سؤال أبي الحسن بما هو الغرض عند الكفاة في مثله، ولم يحفل بصناعة الإعراب التي إنما هي لفظية ولقوم مخصوصين، من بين أهل الدنيا أجمعين. ونحو من ذلك أني سألت الشجري، فقلت: كيف تجمع المحرنجم، فقال: وأيش فرقته حتى أجمعه! وسألته يوماً فقلت: كيف تُحَقِّرُ الدَمَكَمَك؟ فقال: شَخِيت. فجاء بالمعنى الذي يعرفه هو، ولم يراع مذهب الصناعة"^(١). إن أحسن ما تُحمل عليه أمثال هذه الأخبار أن تكون للأعراب الذين لم يختلفوا إلى حلقات النحاة ولم يؤلفوا الكتب، أي الأعراب المغمورين. ومن الأخبار التي رويت عن الأعراب وتُحمل على الأعراب المغمورين أنه "وقف أعرابي على مجلس الأخفش، فسمع كلامهم في النحو، فحار وعجب وأطرق ووسوس، فقال له الأخفش: ما تسمع يا أبا العرب؟ قال: أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس في كلامنا"^(٢). أما الأعراب الرواة المعروفون؛ فالمظنون بهم أنهم يعرفون اصطلاحات النحاة. ويحتمل أن يكون في بعض ما ذكره ابن جني تظاهر بعدم الفهم، خصوصا في قول الشجري: "وأيش فرقته حتى أجمعه"، وهذا أشبه بأجوبة الأعراب التي يتظاهرون فيها بعدم فهم أسئلة النحاة ويحملونها على غير وجهها (سيأتي الحديث عن ذلك بعد فقرات).

ونجد عند بعض المعاصرين شيئا مما وجدناه عند أبي عمرو وأبي الفتح من تعميم حال الأعراب الجفاة على جميع أعراب السماع اللغوي، وهو عبد الحميد الشلقاني صاحب كتاب "الأعراب الرواة"، فمما استوقفه ذكر النديم أن لدلّامز كتاب النوادر والمصادر. قال: "فكيف عرف النوادر والمصادر، وهذه

١ - ابن جني، الخصائص: ٤٦٦/٢.

٢ - القفطي، إنباه الرواة: ٤٢/٢.

مُسَمَّيات أطلقها علماء الرواية^(١)، وذكر الشلقاني أيضا أن القفطي نسب الكتابين إلى قُربية وعلق على ذلك: "ولو كان الكتابان في صفات النخل أو الشاة أو شيء كهذا لتقبله عقلي على وجه من التخريج أو الافتراض. أما في النوادر والمصادر فأنا من الخبر في شك"^(٢)، وفي وصف النديم لأبي عدنان بأنه بصري وله كتاب النحويين قال: "ترى أين وجهه البدوي إذا كان بصريا يؤلف كتابا عن النحويين"^(٣).

ونتناول هنا ما استشكله الشلقاني، فنقول: أما ما يخص "كتاب النوادر والمصادر" فالصواب أنه لأم البهلول، وأن "دلامز" تصحيف (تقدّم في الكلام على مؤلفات الأعراب)، ولا تخلو كلمة "المصادر" من إشكال كما أشار إليه، ومما يُذكر هنا أن عبارة النديم تدلّ على أنه "كتاب النوادر والمصادر"، ولكن القفطي جعلهما كتابين "كتاب النوادر" و"كتاب المصادر"^(٤)، ولا شك أن الأخذ بما في الفهرست أولى، ولكن ننبه على أمرين؛ أحدهما: أن المؤلف في مؤلفات الرواة الأعراب حضور عنوان "النوادر" منفردا من دون موضوع آخر إلى جانبه، بل إن الأمر نفسه لا يختلف كذلك في عنوانات "النوادر" عند العلماء (كما تقدم)، والآخر: أن عنوان "المصادر" يشير إلى معالجة نوع واحد من الكلمات بطريقة تخصصية، ومثل ذلك غير مألوف في مؤلفات الأعراب، وإن كان يحضر عنوان "كتاب المصادر" في مؤلفات العلماء؛ مثل النضر بن شميل^(٥)، وأبي عبيدة^(٦)، وأبي زيد^(٧)، والكسائي^(٨)، ونفطويه^(٩)، ومما يتبناه هذا البحث أن في أعراب الرواية أصحاب ممارسات علمية، ذلك هو الطابع العام فيهم، لكن بلوغ درجة العلماء المتخصصين ومن يتوقع صدر مؤلف بعنوان "المصادر" إنما كان لقلّة منهم، ولا يبدو أن أم البهلول منهم، وكل تلك القرائن تخلق إشكالا حول كلمة "المصادر" في عنوان كتاب أم البهلول. وأما ما يخص عنوان "النحويين" لأبي عدنان فالراجح أنه وهم. نعم؛ أثبت فليجل عنوان "النحويين"^(١٠)، لكن رضا تجدد أثبت عنوان "القوس" في المتن، وذكر في الهامش أن عنوان "النحويين" في نسخة^(١١)، وقد نسب القفطي لأبي عدنان كتابا بعنوان

١ - يُنظر: الشلقاني، الأعراب الرواة: ١٣٥.

٢ - يُنظر: السابق: ١٣٦.

٣ - السابق: ١٣٧.

٤ - يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: ٤/١٢١.

٥ - يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٨.

٦ - يُنظر: السابق: ٥٩.

٧ - يُنظر: السابق: ٦٠.

٨ - يُنظر: السابق: ٧٢.

٩ - يُنظر: السابق: ٩٠.

١٠ - النديم، الفهرست، تحقيق فليجل: ٦٨.

١١ - النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد: ٥١.

"القوس" ولم ينسب له كتابا بعنوان "النحويين"^(١)، وكل ذلك يرجح أن "النحويين" تصحيف من "القوس" في بعض نسخ "الفهرست"، ويؤيد هذا أن الطابع العام لمؤلفات الأعراب النقل عن اللغة مما يرتبط ببيئة العرب، ولم نقف على أعرابي واحد ألف في تراجم النحاة.

وقد ذكر الشلقاني ممارسات علمية لهؤلاء الأعراب وكرّر استغرابه منها. يقول في اختلاف أبي خيرة والمُنْتَجع ثم بحثهما عن حكم بينهما: "وكانت هذه في يوم من الأيام صفة للطالبيين، فأصبحت صفة للأعراب"^(٢)، وتعليقا على قول النديم في أبي دعامة: "أطال المقام بالحضر وانقطع إلى البرامكة" قال الشلقاني: "والرأي عندي أن هذه الشهادة عليه بفساد أعرابيته"^(٣)، ويتعجب الشلقاني أن يروي أبو مسحل الأعرابي في كتابه "النوادر" (تقدّم أنه مطبوع) شيئا من أمور اللغة عن الكسائي^(٤) وعن الفراء^(٥)، فعنده أن العالم يروي عن الأعرابي اللغة ولا ينعكس الأمر، وللشلقاني كلام آخر من نحو ذلك، وفيما ذكر كفاية لبيان رأيه.

وبصورة عامة صرّح الشلقاني بتشكّكه في أحوال الأعراب الرواة في مقدمة كتابه. قال: "ورأيت أن أضع كتابا للأعراب الرواة، وأخذت في كتابة جزء كبير منه على أنهم مصدر يوثق به اهترت الفكرة أمامي"^(٦)، وقال: "ثم وجدت بعض الأشياء لا تدخل ذهني بسهولة"^(٧)، وقال: "فإن بعض الأسئلة ما زالت عالقة في ذهني لم تجد حلا مقنعا ولا حتى مرضيا"^(٨). الإشكال في كل ما تقدّم أن الشلقاني افترض صفات أعراب البادية والبقاء على السليقة من دون صقلها على كل أعراب اللغة، ولو تبين له أنهم على قسمين، وأن الرواة منهم أصحاب سليقة مثقفة وممارسات علمية كثيرة، لاتسقت الأخبار لديه ولما استنكر ما استنكر.

وفي ختام الحديث عن الصورة المتخيلة عن الأعراب الرواة نحاول أن نتلمّس أسباب وجودها. وفي البدء نحبّ تأكيد أمر عام عند أعراب الرواية اللغوية، وهو محاولة التلبّس بأحوال الأعراب الجفاة والظهور بصفات أبناء البادية. وقد وقع ذلك ترويجا للبضاعة اللغوية التي منحت أولئك الأعراب أبوابا من الرزق، ومن أغرب ما ذكر في تظاهر الأعراب محاولة الظهور بسحنة الرجل البادي. ذكر عن أبي محمد الأسود

١ - يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: ١٤٨/٤.

٢ - الشلقاني، الأعراب الرواة: ١٠.

٣ - السابق: ١٣٥.

٤ - السابق: ١٣٧-١٣٨.

٥ - السابق: ١٣٩.

٦ - السابق: ٨.

٧ - السابق: ٨.

٨ - السابق: ١١.

الأعرابي "ويحكى أنه كان يتعاطى تسويد لونه، فكان يدهن بالزيت، ويقعد في الشمس، يتشبه بالأعراب؛ ليتحقق تلقيبه بالأعرابي"^(١)، هذا وأبو محمد متأخر عن حركة السماع من الأعراب (ت. ٤٣٠هـ).

وكان من حيل ذلك التظاهرِ تضييمُ الكلام. جاء في ترجمة أبي العميثل أنه كان "يُضخّم كلامه ويُعربه"^(٢)، ومثله ما ذكر عن أبي محلم الشيباني "وكان يُغلّظ طبعه ويفخّم كلامه ويُعرب منطقَه"^(٣)، والوصف الأخير في أبي محلم أنه "كان يُغلّظ طبعه" يبدو أنه كان على وجه التظاهر بجلافة الأعراب، وجاء في الأعرابي صلتان بن عوسجة: "وما رأيتُ أعرابيا أعجب منه. كان أكثر كلامه شعرا، وأمثلة أعرابي سمعته كلاما، إلا أنه ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لا نفهمها، وكان من أضجر الناس وأسوئهم خلقا"^(٤). ونتوقّف عند قوله: "ربما جاء باللفظة بعد الأخرى لا نفهمها"، فتعمد الإغراب في الكلام كان من حيلهم في تأكيد كونهم يمتلكون من اللغة ما لا يعرفه الآخرون، ومثل ذلك ما روي أنه "اعتلت أم الهيثم الأعرابية فزارها أبو عبيدة وقال لها: عمّ كانتِ علثكِ؟ فقالت: كنتِ وحمى سركة، فشهدتُ مادُبة، فأكلتُ جُبجُبة، من صفييفِ هِلعة، فاعترتني زُلخة؛ قلنا لها: ما تقولين يا أم الهيثم؟ فقالت: أو للناس كلامان؟"^(٥)، ومن اللافت أن يخفى كلامها ذلك على إمام من أئمة اللغة، ومن هذا الباب ما حكى "أبو زيد [أنه] قال قلتُ لأعرابي: ما المتكأكي؟ قال: المتأزف. قلت: ما المتأزف؟ قال: المحبطنى يا أحمق. وتركني ومضى، وذلك كله القصير"^(٦). ومثل ذلك التباهي بالغريب نسمع عنه عند أصحاب هذه البضاعة اللغوية في وقت متقدّم، فمما يروى أنه "قعد إلى أبي الأسود غلام، فقال له أبو الأسود: ما فعل أبوك؟ فقال: أخذته الحمى، فضخّته فضخًا، وطبخّته طبخًا، وفنخّته فنخًا، فتركته فرحًا. قال: فما فعلت امرأته التي كانت تُسارهُ، وتُجارهُ، وتُهاَرهُ، وتُضارهُ، وتُزارهُ؟ قال: طلقها، فتزوجت غيره، فرضيت وحظيت وبظيت. قال أبو الأسود: وما "بظيت" يا بني؟ قال الغلام: حرف من اللغة لم يبلغك. قال: يا بني، ما لم يبلغ عمك؛ فاستره كما تستر الهرة خُرأها"^(٧)، نجد الغلام يستعرض بالغريب، فيجاريه أبو الأسود بمثله، فيعود الغلام حتى يأتي بـ"بظيت" مدّعيًا أنها حرف تفرّد به عن أبي الأسود، وفي رواية أخرى للقصة يقول الغلام: "حرف من اللغة لم تدر من أي بيض خرج، ولا في أي عش درج"^(٨)، ولا ينص الخبر

١ - الأنباري، نزهة الألباء: ٢٦٧.

٢ - النديم، الفهرست: ٥٤.

٣ - السابق: ٥١.

٤ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ط ١: ٨٢/٤.

٥ - الأزهرى، تهذيب اللغة: (زلخ) ٩٥/٧.

٦ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ٤٥، "قال أبو عبيدة: هو المتغصّب المُستبطنُ للشّيء؛ وقال: المُحبطنُ: العظيّم البطنُ المُتفخّح؛ قال الكسائي: يُهمزُ ولأ يُهمزُ"، ابن منظور، لسان العرب: (حبطاً) ٥٨/١.

٧ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ٢٣-٢٤.

٨ - السيرافي، أخبار النحويين البصريين: ١٥-١٦.

على أن الغلام أعرابي، غير أننا لا نظن أن يصدر ذلك إلا من صاحب بضاعة لغوية، وهم الأعراب غالباً، والحادثة في زمن الاحتجاج، بل في المئة الأولى؛ إذ توفى الدؤلي في ٦٩ هـ.

وثمة أمر آخر عند أولئك الأعراب يبدو أنه كان ذا صلة بمحاولة الظهور بأحوال أبناء البادية، وهو اتخاذ الكنى من الغريب، ولا نستبعد أن يكون ذلك أيضاً من محاولة التلبس بغامض اللغة وغريبها، ونقف على غير قصة فيها السؤال عن معنى كنى الأعراب. حكى يونس بن حبيب: "سألت أبا الدقيش: ما الدقيش؟ فقال: لا أدري، إنما هي أسماء نسمعها، فتسمى بها"^(١)، فهذا أحد الأئمة اللغويين يخفى عليه معنى كنية أحد الأعراب، ومثله أبو شنبل "قيل له: لم كُنيت أبا شنبل؟ قال: العرب تقول: شنبَل فلان فلانة؛ إذا قبلها، ورأوني في صغري أُقبل صبيّة، فقالوا: قد شنبَلها، فكُنوني أبا شنبَل"^(٢). ومن كنى الأعراب الرواة التي جاءت على ذلك النسق: أبو الحدرجان وأبو القمقام وأبو ثروان وأبو العجّس وأبو العيسجور وأبو العميئل وأبو اللجلج وأبو العُدافر، وهي من الغريب أو إلى الغريب أقرب.

وكان من حيل أولئك الأعراب للظهور بسمات أعراب البادية التظاهر بعدم فهم أسئلة طالبي الفائدة أو فهمها على غير مراد السائل، وبتعبير آخر: التظاهر بفهم السؤال على غير الوجه الاصطلاحي وحمله على معنى آخر؛ فمن ذلك ما حكى عن الربيع بن عبد الرحمن السلمي "قال قلت لأعرابي: أتهمزُ إسرائيل؟ قال: إنني إذن لرجلُ سوء؟ قلت: فتجرُ فلسطين؟ قال: إني إذن لَقوي"^(٣)، و"قيل لأعرابي: أتهمزُ الفأرة؟ قال إنما يهمزها السنور"^(٤)، ونرى أن أعرابياً من عامة الأعراب لو سئل عن جملة مثل "تجرُ فلسطين؟" في السياق التداولي لاستوضح عن المراد من السؤال: ماذا يُقصد به لغرابته عليه، لكن الإجابة الفورية وتوجيه جملة ذات مصطلح نحوي إلى معنى لغوي آخر لخلق طرفة ساخرة ليست مما يتوقع صدوره من الأعرابي العامي فور سماعه السؤال. أما العالم ومن يعرف مصطلحات النحاة فلا غرابة في أن يخلق الطرفة بتلك الطريقة. "قال حمزة للكسائي: أتهمز الذيب؟ قال [الكسائي]: لو همزته أكلني"^(٥)، فلا شك أن الكسائي يفهم مراد السائل، ولكن جوابه ضرب من الكلام مألوف عند العرب، وهو "تجاهل العارف"، والمراد به هنا المزاح.

من ذلك التظاهر -فيما نرجح- ما روي من أن أبا عمرو بن العلاء في كلامه على قول العرب: "ليس الطيب إلا المسك" دلّ عيسى بن عمر وخلفاً الأحمر على قصد أبي مهدية تثبتاً مما أفادهم به، ثم وردت القصة كالاتي: "قلنا: جئنا نسألك عن شيء من كلام العرب، فقال: هاتيا، فقال له خلف: تقول: "ليس

١ - السيوطي، المزهري: ٢/٢٧٢.

٢ - البيهقي، ما اتفق لفظه واختلف معناه، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، (د.ن)، السعودية، ١٩٨٧م، ط ١: ٤٨.

٣ - الجاحظ، البيان والتبيين: ٢/٢٢٠.

٤ - النمري، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ط ٢: ١٠٤.

٥ - السابق: ١٠٤.

الطيب إلا المسك"؟ فقال: أتأمرانني بالكذب على كبرة السن؟! فأين الجادي؟! وأين كذا وكذا؟! فقال له خلف: "ليس الشراب إلا العسل". قال: فما تصنع سودان هجر؟! ما بعُمان شراب إلا هذا التمر. قال أبو محمد: فلما رأيتُ ذلك منه قلتُ له: "ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعملُ بها"، فرفعتُ، فقال: هذا كلامٌ لا دَخَلَ فيه، ثم قال: "ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعملُ بها"، فنصب، قال أبو محمد: فقلتُ له: "ليس ملاك الأمر إلا طاعة الله والعملُ بها"، فرفعتُ. فقال: ليس هذا من لحنِي ولا لحنِ قومي"^(١). وما نقوله تعليقا على ذلك: نحسب أبا مهدية المخالط لأبي عمرو بن العلاء ألفا لطريقة أسئلة طلاب النحو المبنية على الافتراض، ولا نظنّه صاحب جفاء لا يتفطن لطبيعة تمثيل النحاة القائم على الدوام على الافتراض؛ مثل افتراض الضرب بين زيد وعمرو ونحو ذلك، ويبعد أن لا يميّز المخالط للنحاة العبارة المثل بها نحويا من العبارة المقصود معناها، ولا يخفى علينا قول أبي مهدية في النهاية: "ليس هذا من لحنِي ولا لحنِ قومي"، فدلالة ذلك الدراية بأن ما نطقوا به نصبا إنما كان لهجة أخرى (لحن قوم آخرين)، وكل ذلك يبعده عن الجفاء المدعى.

ومن أخبار أبي مهدية أنه قال: "بلغني أن (الأعراب) و(الأعزاب) هجاهما واحد. قلت: نعم. قال: فاقراً: "الأعزاب أشد كفرا ونفاقا" ولا تقرأ: الأعراب"^(٢)، وأبو مهدية من الأعراب الرواة الذين ترجم له النديم^(٣)،

١ - الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين: ٤٣، وقد ردت هذه القصة عند الزبيدي بـ"أبي المهدي"، وفيها ورد أيضا أنهما أتياه وهو يقول في الصلاة: "إحسانان عني"، ووقع مثل ذلك عند: الزجاجي، مجالس العلماء: ١/٣-٤، والقفطي، إنباه الرواة: ١٣٧/٤، أي: ذكرت بـ"أبي المهدي"، ولكن وورد في ترجمة "أبي مهدية" عند الزبيدي نفسه "وذكر ابن سلام أن أبا المهديّ هذا من باهلة، وكان يضرب حنكيه يميناً وشمالاً ويقول: إحسانان عني. فسئل عن ذلك، فيقول: جنانٌ تُذامني، أي تركبني"، يُنظر: السابق: ١٥٧، وورد نحو ذلك أيضا عند: القفطي، ١٨٣/٤، وهذا يدلّ أنهما شخصية واحدة، وأن "أبا المهدي" تصحيف شائع في قصة "ليس الطيب إلا المسك"، وأقدم مصدر للقصة بالتحصيف هو المجالس للزجاجي (ت. ٣٣٧هـ)، لكنه ورد عند الزجاجي نفسه في كتاب آخر على الوجه الصواب "أبي مهدية"، يُنظر: الزجاجي، الأمالي، تحقيق: هارون، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٧م، ط ٢: ١/٢٤٢، ودُكر على الوجه الصواب أيضا عند: ابن جني، المحتسب: ١/٢٩٦، وذكر على الوجه الصواب عند: الزمخشري، ربيع الأبرار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م، ط ١: ٤٠٧-٤٠٨، ولكن جاء فيه أن الأصمعي هو من يحكي أنه سأل أبا مهدية! ومن الأدلة أيضا على أنهما شخصية واحدة أن النديم عقد ترجمة لأبي مهدية ولم يعقد ترجمة لأبي المهدي، يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٢، وهذا ما صنعه أيضا الزبيدي والقفطي، ولكن القفطي وقع في وهم آخر؛ إذ ذكر في ترجمة "أبي المهدي" أن اسمه "أفار بن لقيط"، وهذا غير صواب، فقد ترجم النديم لأفار بن لقيط مستقلا عن أبي مهدية، وكان أفار أول من ذكره في فصله عن الأعراب، يُنظر: النديم، الفهرست: ٤٩، وأبو مهدية أعرابي معروف، وقد ترجم له ابن عبد ربه تحت عنوان "أخبار أبي مهدية الأعرابي" وذكر عددا من القصص، يُنظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٨٠-٧٩/٤، وخلاصة الأمر أننا أثبتنا القصة في المتن على الوجه الصواب "أبي مهدية".

٢ - ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٧٩/٤.

٣ - يُنظر: النديم، الفهرست: ٥٢.

وقد مرّ أن كثيرا من الأعراب الرواة كان مُخالطا للعلم والعلماء، وفيهم المؤلف والورّاق، فإن لم يكن ذلك من أبي مهدية تصنعا للامية، فهو من الحالات القليلة التي لا تعرف الكتابة، وقد يؤيد هذا الاحتمال أن أبا مهدية من الأعراب الذين نصّ النديم على أنه لا مؤلّف لهم^(١)، وقد يقف في صفّ بعد أبي مهدية عن التعلّم خبر طريف له في الأذان، ذلك "أنه كان إذا أراد الأذان قال: الله أكبر مرتين، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين كذلك إلى آخر الأذان، ينطق من ذلك بالمرّة الواحدة، ويقول في إثرها: مرتين، فيقال له: ليس هكذا الأذان، إنما هو كذا، فيقول: المعنى واحد، وقد علمتم أن التكرار عي"^(٢).

يبدو أن مثل تلك الأخبار التي تظاهر فيها الأعراب الرواة بعدم فهم مصطلحات النحاة قد عمّمت على جميع أعراب الرواية اللغوية عند من لم يحقق أحوال أعراب اللغة، ونحن لا ننكر أن يكون هناك أعراب لا يفهمون كلام النحاة ومصطلحاتهم، لكن ذلك النوع من الأخبار يجب أن يحمل على نوع منهم، أي "الأعراب المغمورين"، ومما يمكن أن يكون من ذلك من الأخبار أن أعرابيا وقف على مجلس للأخفش في النحو فحار وعجب وقال مُستنكرا: "أراكم تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس في كلامنا"، فأنشد الأخفش لبعض العرب أبياتا جاء في أولها:

ماذا لقيت من المستعربين ومن تأسيس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

وجاء فيها أيضا:

كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم وآخرين على إعرابهم طبعوا^(٣)

ومن جنس تلك الأخبار الدالة على أن الأعراب أصحاب سليقة ليس غير بيت مشهور:

ولست بنحوي يلوك لسائه ولكن سليقي أقول فأعرب^(٤)

وبهذا ندرك أن المعرفة المحيطة بأحوال الأعراب الرواة تجعلنا نصرّق بين ما يخص الأعراب الرواة منهم والأعراب المغمورين منهم.

ولعل من الأسباب التي أوجدت تلك الصورة المتخيّلة عن أعراب الرواية الميل إلى رسم أكمل صورة تتعلق بالاحتجاج للعربية لغة القرآن وبمن سُمع منهم كلام العرب، فإذا كانت الحواضر بؤرة الفساد والتغيّر، فقد أبعثوا الأعراب الفصحاء عن تلك البؤر ورسموهم في أكمل صورة للأعرابي الفصيح، أي

١ - يُنظر: السابق: ٥٢.

٢ - ابن جني، المُحتسب: ٢٩٦/١ باختصار يسير.

٣ - يُنظر: القفطي، إنباه الرواة: ٤٢/٢.

٤ - الخطابي، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م، (د.ط.): ٦٠/٣.

الخالص من كل شائبة من العجمة.

وإذا عدنا إلى الجاحظ وابن جني خصوصا، فهما لم يكونا من حركة السماع الأساسية من أعراب اللغة، فأما ابن جني فكان متأخرا عنها (كما تقدم)، وقد التقى بعدد قليل من الأعراب ولم يكن سماعه منهم شاملا على طريقة الأوائل، وفي كثير منها كانت تعرفا على طبيعة السليقة عندهم أكثر من أن تكون سماعا للغة نفسها^(١)، وأما الجاحظ وإن كان معاصرا للمرحلة الأخيرة من حركة السماع، فلم يكن تخصصه النظر في اللغة والنحو على طريقة السماعين من اللغويين والنحويين، وإذا تأملنا رواياته عن الأعراب في كتابيه الأساسيين "البيان والتبيين" و"الحيوان" سنجدها في الأعم الأغلب روايات عن أعراب غير مسمين، فلعل طابع الأعراب المغمورين تعمم عنده على الجميع.

رابعا: النظر في مطاعن ذكرت زمن السماع اللغوي في رواية اللغة والشعر

إذا عرفنا ما مر من أحوال الأعراب الرواة وأنهم أصحاب ممارسات علمية ولهم اختلاط بالحاضرة فلنا أن نتوقف في مطاعن وقوادح ذكرت زمن الاحتجاج، فمن ذلك ما رواه التوزي قال: "سمعت الأصمعي يقول: ما أقل ما تقول العرب الفصحاء: فلانة زوجة فلان. إنما يقولون: زوج فلان، فقال له السدري: أليس قد قال ذو الرمة:

أذا زوجة بالمصر أم ذا خُصومةٍ أراك لها بالبصرة العام ثاويا

فقال: إن ذا الرمة قد أكل البقل والمملوح في حوانيت البقالين حتى بشم"^(٢). لنا أن نقول هنا: ما وجه الطعن فيه لكثرة أكله البقل والمملوح، أو بعبارة أصرح: ما وجه الطعن لدخوله الحاضرة، إذا كان في الأعراب من استقر في الحاضرة حتى مات، ومنهم من أقام فيها أربعين سنة (كما تقدم) ولم يطعن فيه؟ ومن تلك القوادح ما ذكره ابن جني قائلا: "ويحكى أن أبا عمرو رأى ذا الرمة في دكان طحان بالبصرة يكتب، قال: فقلت: ما هذا يا ذا الرمة؟ فقال: اكتبم علي يا أبا عمرو. ولما قال ذو الرمة أيضا:

كأنما عينها منها وقد ضمرت وضمها السير في بعض الأضى ميم

فقيل له: من أين عرفت الميم؟ فقال: والله ما أعرفها؛ إلا أنني رأيت معلما خرج إلى البادية فكتب حرفا، فسألته عنه، فقال: هذا الميم؛ فشبهت به عين الناقة"^(٣). إلى أي مدى يمكن أن نقبل خبر تنكر ذي الرمة

١ - مثل سؤاله للعقيلي، أيقول: "ضربت أخوك"؟، يُنظر: ابن جني، الخصائص: ٧٦/١، وسؤاله إياه: أيجمع "عثمان" على "عثامين"، يُنظر: السابق: ٢٤٢/١، وسؤاله الشجري وابن عمه عن تصغير "عليباء"، يُنظر: السابق: ٢٦/٢.

٢ - المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء: ٢٣٤.

٣ - ابن جني، الخصائص: ٢٩٦/٣.

لمعرفة الكتابة إذا عرفنا أن في الرواة الأعراب مَنْ كان ورّاقاً أو عالماً مؤلفاً للكتب ولم يُطعن فيه؟! أو لعلّ الأمر له وجه مختلف؛ فذو الرمة تظاهرَ بعدم معرفة الكتابة تشبّهاً بأحوال الأعراب الخُلص مع أن الحقيقة خلافها، فكانت معرفته للكتابة تخالف دعواه أولاً، لا أنها مطعن في حجّيته! ويروى خبر تنكر ذي الرمة للكتابة بطريقة أخرى "قال عيسى بن عمر: قال لى ذو الرمة: ارفع هذا الحرف، فقلتُ له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه، أي: اكتب عليّ؛ فإنّه عندنا عيب"^(١). هنا يأتي تنكر ذي الرمة للكتابة لأنها عيب عندهم، فالى أي مدى كانت تلك حجة صادقة؟! وهل يمكن أن نسلم أن جهل الكتابة مرتبط بالفصاحة، وفي الرواة الأعراب الفصحاء عدد كبير من المؤلفين والوراقين الذين لم يطعن فيهم أحد لذلك؟! إن المراد التنبيه إليه هنا إن معرفة أحوال أعراب اللغة زمن الاحتجاج تجعلنا أكثر قدرة على مناقشة مطاعن ذكرت في زمن الاحتجاج، سواء أصدرت عن أحد العلماء أم جاءت مُضمّنة في بعض الروايات.

١ - ابن قتيبة، الشعر والشعراء: ٥١٦/١.

نتائج البحث:

تناول البحث الأعراب في زمن الاحتجاج الذين سمع منهم علماء اللغة والنحو القدماء، وخلصَ البحث إلى النتائج الآتية:

- ١ - الأعراب الذين أخذت عنهم اللغة قسماً: الأعراب المغمورون الذين لقيهم اللغويون وسمعوا منهم عرضاً، والأعراب الرواة الذين تكرر سماع النحاة منهم وخالطوا النحاة وأخذوا عنهم، وهم أعراب عُرفوا بأسمائهم أو كُناههم أو ألقابهم، ول بعضهم مع اللغويين والنحاة أخبار متنوعة.
- ٢ - ثمة أدلة متعددة على أن كثيراً من الأعراب الرواة أصحاب تثقف إلى السليقة الأولى وممارساتٍ علمية، وأبرز تلك الممارسات التعلّم والتأليف، ومنها الاشتغال بالتوريق وتعليم الصبيان وتأديب أولاد الأعيان، ومنها أن فيهم مَنْ وُصف بأنه "عالم"، أو ناظر العلماء، أو نُسب إلى مذهب البصريين، أو شارك في علومٍ أُخرى، وكل ذلك يدلّ على أن فيهم علماء من درجة ما.
- ٣ - لدى بعض المتقدمين والمعاصرين صورة متوهمة عن الأعراب، وذلك بتعميم حال الأعراب المغمورين البعيدين عن الممارسات العلمية على جميع أعراب اللغة.
- ٤ - كان بعض الأعراب الرواة يتظاهر بأحوال ابن البادية المُوغل في بداوته بطرائق مختلفة، ويبدو أن مثل ذلك كان من أسباب وجود الصورة المتوهمة عن الأعراب.
- ٥ - الوعي بحقيقة الأعراب الرواة واختلافهم عن الأعراب المغمورين يمكّننا من تمييز كثير من الأخبار المروية عن جملة الأعراب، ويجعلنا أقدر على فهم الممكن واللاممكن منها في حق كل صنف.
- ٦ - معرفة أحوال الأعراب الرواة يجعلنا أكثر وعياً بصدق بعض القوادح التي رُمي بها أفراد في زمن الاحتجاج اللغوي.

قائمة المصادر والمراجع:

- الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر)
- تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مراجعة: محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، ١٩٦٤م، (د.ط).
- الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد)
- الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ط ١.
- الأنباري (أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد)
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، ١٩٨٥، ط ٣.
- البيضاوي (ناصر الدين عبد الله بن عمر)
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، (د.ت)، ط ١.
- الجاحظ (عمرو بن بحر)
- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٨م، ط ٧.
- الجمحي (محمد بن سلام)
- طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ١٩٨٠م، (د.ط).
- ابن جنى (أبو الفتح عثمان بن جنى)
- الخصائص، حققه: أحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦-٥٢م، ط ١.
 - المحتسب، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء كتب السنة، القاهرة، ١٩٩٩م، ط ٢.
- الخطابي (أبو سليمان حمد بن محمد)
- غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٣م، (د.ط).
- ابن أبي حاتم
- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة الباز، السعودية، ١٩٩٩م، ط ٣: ٨/٢٧٩٠.

- أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي)
- البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٠م، (د.ط).
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم)
- وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ط ١.
- الخليل (الخليل بن أحمد الفراهيدي)
- معجم العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت)، (د.ط).
- الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ط ٢.
- الرازي (فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر)
- التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ط ١.
- الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي)
- طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣م، ط ٢.
- الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني)
- تاج العروس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٥م، (د.ط).
- الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق)
- مجالس العلماء، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، دار الرفاعي-الرياض، ١٩٨٣م، ط ٢.
 - الأمالي، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م، ط ٢.
- الزركلي (خير الدين)
- الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ط ١٥.
- الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)

- الكشاف، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٩م، ط ٣.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٢م، ط ١.
- أبو زيد (سعيد بن أوس)
- النوادر، تحقيق: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت-القاهرة، ١٩٨١م، ط ١.
- السرقسطي (قاسم بن ثابت بن حزم العوفي)
- الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: د. محمد القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠١م، ط ١.
- ابن السكيت (يعقوب بن إسحاق)
- إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م، ط ١.
- كتاب الألفاظ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٩٨٨م، ط ١.
- سعيد (د. خير الله)
- موسوعة الوراقة والوراقين في الحضارة العربية الإسلامية، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١١م، ط ١.
- ابن سيدة (علي بن إسماعيل)
- المخصّص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١.
- السيرافي (الحسن بن عبد الله بن المرزبان)
- أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٥م، ط ١.
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر)
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م، ط ١.
- المزهري، تحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ط ١.
- الشلقاني (د. عبد الحميد)
- الأعراب الرواة، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا - طرابلس، ١٩٨٢م، ط ٢.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أبيك)

- **الوايف بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١.**
 - **الطبري (محمد بن جرير بن يزيد)**
- **جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٠م، ط ١.**
 - **ابن عبد ربه (شهاب الدين أحمد بن محمد)**
- **العقد الفريد، تحقيق: د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ط ١.**
 - **أبو عبيد (القاسم بن سلام)**
- **فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية، محسن خرابة، وفاء بتقي الدين، دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ١٩٩٥م، ط ١.**
- **الغريب المصنف، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (ج ١): السنة السادسة والعشرون، العددان: (١٠١، ١٠٢)، ١٤١٤/١٤١٥هـ، (ج ٢): السنة السابعة والعشرون، العددان: (١٠٣، ١٠٤)، ١٤١٦/١٤١٧هـ.**
 - **أبو عبيدة (معمربن المنثري)**
- **مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦١م، ط ١.**
 - **ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب)**
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشايفي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ط ١.**
 - **الفراء (يحيى بن زياد بن عبد الله)**
- **معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، (د.ت)، ط ١.**
 - **الفيومي (أحمد بن محمد)**
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ط ٢.**
 - **القالي (أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادى)**

- ذيل الأمالي والنوادر، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، ١٩٧٦م، (د.ط.).
- ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم الدينوري)
 - الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ط ٢.
 - عيون الأخبار، تحقيق: منذر أبو شعر، المكتب الإسلامي، بيروت-عمان، ٢٠٠٨م، ط ١.
 - الجرائيم، تحقيق: محمد جاسم الحميدي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧م، (د.ط.).
- قدور (د. أحمد محمد)
 - فقه اللغة، دار الفكر المعاصر - بيروت، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م، ط ٣.
- القنطري (أبو الحسن علي بن يوسف أبو الحسن)
 - إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ١٩٨٢م، ط ١.
- ابن مالك (محمد بن عبد الله)
 - شواهد التصحيح والتوضيح، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (د.ط.).
- المبرد (محمد بن يزيد)
 - الفاضل، تحقيق: عبد العزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، م ١٩٩٥، ط ٢.
- المرزباني (أبو عبيد الله بن محمد بن عمران)
 - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: علي حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ط ١.
- أبو مسحل (عبد الوهاب بن حريش الأعرابي)
 - النوادر، تحقيق: د. عزة حسن، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٠م، (د.ط.).
- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)
 - لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، (د.ط.).
- النديم (محمد بن إسحاق)
 - الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، طهران، ١٩٧١م، ط ١. (التحقيق المعتمد)

- الفهرست: تحقيق: غوستاف فليجل، لايبزغ، ١٨٧٢م، ط ١. (تحقيق مستعان به)
- النمري (يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر)
- بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ط ٢.
- النملة (د. علي)
- الوراقة وأشهر أعلام الوراقين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٥م، (د. ط).
- هارون (عبد السلام)
- نوادر المخطوطات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٤م، ط ٢.
- ياقوت (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي)
- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣م، ط ١.
- اليزيدي (إبراهيم بن أبي محمد)
- ما اتفق لفظه واختلف معناه، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، (د.ن)، السعودية، ١٩٨٧م، ط ١.
- الغموري (أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود)
- نور القبس المختصر من المقتبس، تحقيق: رودلف زلهام، فرانكس شتاينر، فيسبادن، ١٩٦٤م.

الدواوين الشعرية

- ديوان علي بن أبي طالب، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، جمع وترتيب: عبد العزيز الكرم، ١٩٨٨م، ط ١.
- ديوان ليلى الأخيلية، دار صادر، بيروت، تحقيق وشرح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣م، ط ٢.